M/909.188
131160

وزارة التـــــعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945
قالمـــة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ والآثار
التخصص: التاريخ العام

مـــذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان:

الجزائر العثمانية من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين والمغاربة خلال القرن 17 و 18م

إعداد الطالبة:
سامية بن معمر.

إشراف الأستاذة:
خميسة مدور

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
رمضان بورغدة	أستاذ الدكتور أ	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
خميسة مدور	أستاذة مساعدة أ	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
سناء عطابي	أستاذة مساعدة أ	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2012م/2013م
1433هـ/1434هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

صدق الله العظيم

طه الآية 114.

التشكرات

لا ينال الإنسان مبلغا من العلم وحظا من العمل إلا إذا كان له استعداد وهمه فالعلم بالتعلم وهو يكسب ولا يورث.

لله الحمد والشكر على كل شيء، نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل المتواضع خصوصا الأستاذة المشرفة "خميسة مدور" التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيمة.

العلم يبني بيوتا لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والشرف

و شكرا للجميع

سامية

الإهداء

إلى من قال فيهما الرحمن: << و بالوالدين إحسانا >>

إلى من حملتني وهنا على وهن وكان دعاؤها مفتاح نجاحي وضحت بكل شيء في سبيلنا، إلى من كانت معي في قلبي في كل وقت، إلى من اشترت راحتي وفرحي بتعبها وشقائها إلى أجمل وجود في الكون:

أمي الغاليـــــــة "

إلى من كان له الفضل الكبير علي و ربايي على الفضيلة والأخلاق وتعب لنرتاح، وشقا لنسعد إلى من قضى حياته من أجل أن يراني أنال هذه الدرجة العلمية.

" أبي العزيـــــــز "

– أطال الله في عمرهما –

إلى كل أفراد عائلتي وصديقاتي وكل من ساعدني من قريب أو بعيد وفي الأخير نسأل الله خير دعاء وخير نجاح.

سامية

مقدمة

إن البحث في تاريخ الجزائر العثماني يتطلب الرجوع إلى المصادر الأساسية والوثائق الأصلية التي تمثل المادة الخام لدراسته، وإعادة كتابته كتابة موضوعية، وأهمها "كتب الرحالات" التي تعتبر مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ إذ تحتوي على معلومات ذات قدر وقيمة كبيرة ، فهي بمثابة الشريط السينمائي يصور منظرا أو يلتقط حدثا يساعد على تتبع الحوادث وتصور الحقائق ، بالرغم من أنها لم تنل ما تستحقه من الدراسة والاهتمام باعتبارها من أوفى المصادر وأوثقها وأشملها من النواحي التاريخية ، والاجتماعية ، الاقتصادية ، الثقافية والجغرافية ، حيث ينفرد هذا النوع من المصادر بأهمية خاصة ، لاسيما في الفترة العثمانية التي شهدت أكبر موجة من الرحلات لدوافع وأهداف متنوعة تختلف من رحالة إلى آخر ، خصوصا الرحلات الأوروبية التي عرفت زخما كبيرا مقارنة برحلات المغاربة التي تعد قليلة إذ لا تستطيع أن تنافس أو تزاحم التآليف الأوروبية الخاصة بالجزائر في العهد العثماني انطلاقا من الغاية التي كانت وراء هذه الرحلات ، فإذا كانت بعض الرحلات الأوروبية مشبعة بأفكار إيديولوجية استعمارية ، فإن رحلات المغاربة لا هدف من ورائها إلا طلب العلم وإظهار المجتمع الجزائري في تلك الفترة بالصورة التي كان عليها .

لهذا ارتأيت الخوض في هذا الموضوع باعتبار الرحلات من المصادر الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها لكتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ودراسة الرحلات الأوروبية من جهة والمغربية من جهة أخرى لمعرفة مضامين ومواضيع هذه الرحلات ، وأهم المجالات التي كتب فيها هؤلاء الرحالة ،/للوقوف على مصداقية الخبر التاريخي الوارد في كل منها ، واعتبارها من مصادر تاريخ الجزائر العثماني.

كذلك لتغطية النقص الذي تعانيه هذه الفترة من تاريخ الجزائر لقلة المادة التاريخية لأن معظمها يكون باللغة العثمانية ، زد على هذا فمعظم الوثائق التي لها اتصال بالجزائر العثمانية ظلت حتى الآن موزعة بين أرشيف العديد من البلدان وما بقي لنا معظمه يفتقر للدليل مما يعطي قراءة سطحية وعامة بعيدة عن الدراسة الجادة ، لإكمال الحلقة المفقودة أو بالأحرى الغامضة في تاريخ الجزائر.

ولهذا فإن هذه الرحلات تقدم ما كان مفقودا من هذه المعلومات لرسم صورة الجزائر العثمانية من خلال هذه الكتابات.

وعلى هذا الأساس يمكن صياغة مجموعة من التساؤلات أهمها :

- ما هي دوافع هذه الرحلات ؟ وهل هي واحدة لكل من النوعين (الرحلتين)؟
- ما هي الجوانب التي تضمنتها الرحلات الأوروبية ؟ وهل هي نفس المعطيات التي تطرقت لها رحلات المغاربة؟
- أين تكمن أهمية هذه الرحلات ؟
- أيهما أكثر التزاما وموضوعية؟
- هل يمكن الاستغناء عن أحدهما؟

أيهما أكثر إفادة في كتابة تاريخ الجزائر العثماني؟

ومن هنا حاولت تقسيم دراستي بما يتوافق مع هذه الاستفسارات وللإجابة عليها وضعت خطة حاولت من خلالها هيكلة وتنظيم هذا الموضوع ، للإحاطة بجميع جوانبه ، مما جعل الموضوع يتألف من ثلاثة فصول رئيسية ، فضلا عن المقدمة والخاتمة وبعض الملاحق والفهارس .

ففي الفصل الأول الذي يعتبر تمهيدا للدراسة تطرقت للمحة عامة عن الرحلات الأوروبية والمغربية ، معرفة الرحلة بمعناها اللغوي والاصطلاحي ، ثم انتقلت إلى الحديث عن دوافع هذه الرحلات وأهميتها وبعدها أهم الرحالة الأوروبيين والمغاربة خلال العهد العثماني.

ثم خصصت الفصل الثاني لأهم مضامين الرحلة الأوروبية للجزائر العثمانية مقسمة إياها كبقية الفصول إلى ثلاثة مباحث الأول :المضمون السياسي والطبيعي والمبحث الثاني : المضمون الاقتصادي والاجتماعي ، المبحث الثالث : المضمون الثقافي والديني . أما الفصل الثالث والأخير فكان بعنوان نماذج عن رحلات المغاربة للجزائر العثمانية ، فاخترت ثلاثة رحالة كانوا عناوين لثلاثة مباحث : المبحث الأول صحراء الجزائر (المغرب الأوسط) في رحلة العباشي ، المبحث الثاني :الحياة العلمية لمدينة الجزائر في رحلة ابن زاكور ، المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية لأهل مدينة الجزائر في رحلة ابن حمادوش. وأخيرا حوصلت الموضوع بخاتمة تحوي مجموعة من الاستنتاجات والآراء توصلت إليها من خلال البحث والتحليل والمقارنة من المصادر والمراجع المختلفة.

أما فيما يخص فترة الدراسة فهي القرنين 17و18 الميلاديين لأن معظم الرحلات كانت في هذه الفترة ، إضافة إلى اتساع فترة العهد العثماني في الجزائر، فمن الصعوبة تغطية جميع الرحلات من بداية العهد إلى نهايته.

وللدراسة العلمية كان لابد من إتباع منهج علمي لمعالجة المادة العلمية المتوفرة ، في مقدمة هذه المناهج :

-المنهج التاريخي بجمع المادة العلمية وتمحيصها وإعادة بنائها ثم تحريرها وفقا للموضوع.

-المنهج الوصفي التحليلي في عرض وتحليل المادة الخبرية التي تركها الرحالة الأوروبيين والمغاربة.

-المنهج المقارن: استعمل هذا المنهج أكثر لمقارنة الرحلات الأوروبية نفسها (مقارنتها ببعضها) للوقوف على مدى مصداقية الرحلات الأوروبية في وصفها للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري في تلك الفترة ، وهل وقفوا على الحقيقة أم كانت هناك مبالغة أو نقصان ؟ وهل قولهم للحقيقة بدافع انصاف العلم والتحلي بالموضوعية أم خدمة لأطماعهم ؟وذلك بمقارنتها بمضامين الرحلات المغربية وبعرض أهم المعطيات التي تطرقت لها رحلات المغاربة التي اخترتها كنماذج لنفي مبالغات الأوروبيين في حق المجتمع الجزائري (ثقافته ، دينه ، عاداته وتقاليده).

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتباينة فتمثلت المصادر في مجموعة من الرحلات أهمها رحلة ج. هابنستريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس1145هـ/1732م الرحالة جون هابنسترايت الذي اعتمدت عليه بكثرة في الفصل الثاني باعتباره وصف الجزائر العثمانية سياسيا ، اقتصاديا وجغرافيا ، وإن أكثر بوصف الطبيعة والنباتات والحيوانات نظرا لكونه من علماء النبات والطبيعة ، ورحلته إلى الجزائر كانت بمثابة مهمة لكشف النباتات والحيوانات النادرة في البلاد وأخذها كتقرير لبلاده.

- رحلة في إيالة الجزائر (Voyage dans la regence d'Alger) للرحالة توماس شو (Thomas Show) ، اعتمدت عليه بنسبة كبيرة في البحث بصفة عامة (الفصل الأول والثاني) خصوصا في الثقافة والفنون لأنه خصص فصلا كاملا في رحلته للتحدث عن هذا.
- مذكرات أسير الداي كالكارت قنصل أمريكا لجيمس ليندر كالكارت استخدمه بكثره في الفصل الثاني بالأخص في المبحث الثاني (المضمون الاجتماعي) لأنه أفضل من وصف حالة الأسر في سجون الجزائر ومعاناته القاسية حسبما وصفها ، كما استفدت منه في المبحث الأول من الفصل الثاني للتحدث عن العلاقات السياسية للجزائر العثمانية مع الولايات المتحدة الأمريكية باعتباره أصبح فيما بعد قنصل أمريكا في الجزائر.
- تاريخ مملكة الجزائر (Histoire du royaume d'Alger) للوجي دوتاسي (Laugier de tassy) الذي تكلم عن أخلاق وعادات المجتمع الجزائري في تلك الفترة ، فكان مصدرا جيدا اعتمدته في الفصل الثاني (المبحث الثاني:الجانب الاجتماعي).
- الجزائر في القرن الثامن عشر (Alger au XVIII ème siècle) لفونتير دوبارادي (Venture de Paradis) استعملته في المبحث الثاني من الفصل الثالث للحديث عن الجانب الاقتصادي بكثرة من حرف ومنتوجات وسلع.
- الرحلة العياشية ج1 لأبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : اعتمدت عليه بكثرة في الفصل الثالث من المبحث الأول المخصص لرحلة العياشية في وصف الصحراء في تلك الفترة سواء سياسيا ، ثقافيا ، اجتماعيا ، طبيعيا ، وإن كانت رحلته مخصصة أكثر لأقطار المغرب العربي (الإسلامي).
- لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال لعبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري : كانت هذه الرحلة مخصصة للمبحث الثالث في الفصل الأخير لوصف الحياة الاجتماعية لأهالي مدينة الجزائر من عادات وتقاليد ، عقود زواج وغيرها وإن كانت معطياته عن الجزائر قليلة مقارنة "بفاس" التي خصص لها جزءا كبيرا من رحلته.

إضافة إلى هذه المصادر هناك مصادر أخرى اعتمدت عليها بصورة قليلة منها تاريخ بربريا وقراصنتها (Histoire de Barbarie et des ses corsaires) للأب بيار دان (Pierre Dan).

أما عن المراجع فمن أهمها :الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني لمولاي بالحميسي وهو أكثر المراجع استخداما في البحث من أول فصوله إلى آخرها لاسيما في الفصل الثالث لاحتوائه على معلومات جد قيمة عن رحلات المغاربة ، لذلك نال أكبر حصة من الاستعمال.

قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث لعميراوي احميدة ؛ استفدت منه بكثرة في الفصل الأول لتطرقه بشكل مختصر لعناوين الرحلات الأوروبية وتاريخها وأحيانا دوافعها للجزائر العثمانية.

رحلات جزائرية(1) –ثلاث رحلات مغاربية- رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع ؛ كان هذا المرجع عبارة عن مجموعة من الرحلات الجزائرية قام بتحقيقها مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع من بينها جزء رحلة ابن زاكور التي تعذر علي الوصول إليها كرحلة مستقلة مثل رحلة العياشي وابن حمادوش ، لهذا اعتبر هذا المرجع بديلا عنها وأفضل مساعد ودليل أعانني في المبحث الثاني من الفصل الثالث المخصص للحياة العلمية للجزائر العثمانية التي ركزت عليها رحلته (نخبة العلماء والإجازات التي كانت في مدينة الجزائر في ذلك الوقت).

وهناك كذلك مجموعة من المراجع أقل استعمالا في موضوعي منها :

الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830-1855م لأبو العيد دودو ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م ج1) لأبو القاسم سعد الله ، وغيرها من المراجع وكتب التراجم والسير والمعاجم لمحاولة إثراء الموضوع وجعله متنوعا بالمصادر والمراجع المختلفة الأهمية.

وكأي دراسة علمية فقد واجهتني مجموعة من الصعوبات أثناء بحثي في هذا الموضوع أهمها صعوبة التمكن من اللغات التي وجدت بها الرحلات الأوروبية لا سيما أن الكثير من الرحلات مازالت باللغة الأصلية القديمة التي كتب بها الرحالة مما يزيد في صعوبة ترجمتها واستيعابها، وحتى التي وجدت باللغة الفرنسية الحديثة كانت بلغة " أدب الرحلات" (روايات ،قصص) وليس أحداث تاريخية، مما زاد صعوبة في ترجمتها.

أما رحلات المغاربة فكانت بلغة السرد والقصص، فكان الرحالة يروي كل ما يصادفه في يومياته دون اعتبار للتسلسل الزمني، مما جعلها تفتقد للتحليل، ضف إلى هذا بعض الصفحات أجد بعض الحروف ساقطة وبعض الجمل غير مركبة في محلها لكونها كانت مخطوطات — من الصعوبة دراسة المخطوط-.

كذلك قلة المادة العلمية والخبرية لرحلات المغاربة ، بسبب نقص هذه الرحلات مقارنة بالرحلات الأوروبية فالأوروبيون كانوا يحملون القلم والأوراق معهم في كل زمان ومكان، المتخصص وغير المتخصص، على عكس المغاربة فكانت الرحلة من جانبهم إما لعلماء وأدباء أو لبعض الفضوليين فقط، مما جعل المادة شحيحة ، هذا من

جهة، ومن جهة أخرى الغاية أو الهدف من الرحلة، كان متباينا تماما بين الطرفين ، وعلى الرغم من ذلك حاولت قدر المستطاع في الفصل الثالث إعطاء صورة عن الجزائر العثمانية بعيون هؤلاء الرحالة المغاربة.

مما يفتح الباب لدراسات أخرى في المستقبل للوقوف على هذا الجانب من الرحلات المغربية، والسعي للاستفادة من المعلومات الموجودة فيها، وإبطال مزاعم بعض الأوربيين في رحلاتهم وإظهار حقيقة وواقع المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

الفصل الأول :

لمحة عامة عن الرحلات الأوروبية والمغربية

المبحث الأول : تعريف الرحلة وأنواعها.

المبحث الثاني :دوافع هذه الرحلات وأهميتها.

المبحث الثالث :أهم الرحالة الأوروبيين والمغاربة خلال العهد العثماني.

كانت الجزائر في فترة الحكم العثماني قبلة لرحالة من قبل جذب وصوب، سواء الأوروبيين أو المغاربة لدراسة الأوضاع الطبيعية والأحوال الاجتماعية، والإمكانيات الاقتصادية السائدة بها حتى أصبحت كتاباتهم خزينة ضخمة يرجع إليها في تاريخ الجزائر العثماني.

المبحث الأول: تعريف الرحلة وأنواعها.

1- تعريف الرحلة:

- **لغـــة:**

تستأثر مادة "رحل" في معجم لسان العرب بالكثير من الشرح والتفصيل في معانيها، واستخداماتها الكثيرة خصوصا عند العرب.[1]

فقد جاء في لسان العرب: "وارتحل البعير رِحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، رحل عن المكان يرحل وهو راحلٌ من قوم رُحَّلْ : انتقل".

ويُروي : عامر الدار:" والتَّرحُّل والارتحال: الانتقال وهو الرِّحلة والرُّحلة: اسم للارتحال والمسير، يقال دنت رحلتنا، ورحل فلان وارتحل وترحَّل"[2].

وجاء في المعجم "رحل البعير رَحْلاً" فهو مرحول ورحيل وارتحله جعل عليه الرحل....ارتحلت البعير إذا اركبته يقال رحل الرجل إذ سار، وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا، ورحل رحَّال عالم بذلك محبد له...والترحَالُ والارتحال والإنتقال وهو الرحلة والرُّحلَة. والرِّحلة: اسم الارتحال والمسير والرحلة بالضم: الوجه الذي تأخذه فيه وتريده....والمرحلة المنزلة يرتحل منها وما بين المنزلتين مَرحلة. [3]

ويطلق على الرحلة أيضا على السفرة الواحدة "الرحلة السفرة الواحدة" بمعنى الوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، دنو المكان المراد الوصول إليه، أو اقتراب وقت الرحيل. [4]

---

[1] سميرة انساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر، ص14.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مجلد 11، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، ص ص 278، 279. انظر كذلك: بطرس البستاني محيط المحيط، مكتبة لبنان بيروت، 1977،ص ص 367، 368.

[3] سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 14.

[4] ابن منظور، المرجع السابق، ص 279.

وقد حث الإسلام على الرحلة وشجع الناس عليها، لمنافعها العلمية والعملية والدينية، وهي منافع ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع الكثيرة التي تدفع الإنسان للقيام بها. حتى أن الله سبحانه وتعالى خفف على عباده بعض العبادات كالصوم والصلاة في سبيل إنجازها.[1]

تبدو عناية ديننا الحنيف بالرحلة من خلال وجود ذكرها لفظا أو معنى مرات عدة في القرآن الكريم والحديث الشريف . إلا أن لفظ الرحلة ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة قريش قال تعالى :" لإيلاف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف".[2]

كذلك، شجع رسول الله (ص) على الرحلة في طلب العلم فعن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله (ص) يقول: " من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقا إلى الجنة".صحيح مسلم [3]

فرسول الله (ص) حث على العلم وإتمامه فمن سلك طريقه كان له منفذ إلى الجنة ولا يكون هذا الطريق إلا بالرحلة والبحث.

- **اصطلاحا:**

لا يبتعد كثيرا مفهوم الرحلة اصطلاحا عن مفهومه لغة إذ يشتركان في الصفة اللازمة بفعل الارتحال [4] وهي الحركة والانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا.[5]

غير أن هناك تعريفات عند بعض الرحالة والأعلام منهم :

الرحالة "أبي الحسن علي المسعودي" (توفي 345هـ) **"ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه وإثارة كل نفس من مكمنه".**[6]

---

[1] سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص15.

[2] سورة قريش ، الآية 1-4.

[3] أبي عبد الله حماد بن أحمد المراكشي ، المعين عن الأسفار في معرفة أحكام وآداب الأسفار ، مراكش الحمراء ، 2004 ، ص09.

[4] سميرة أنساعد ، المرجع السابق ، ص20.

[5] عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، الرحلة في الإسلام وأنواعها وآدابها ، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب ، السودان ، 196 ، ص15.

[6] أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، ج1، دار الفكر ، 2000، ص20.

وذكر "عبد الرحمن ابن خلدون" :" **الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال**".[1]

فيرى الشيخ "حسين العطار" في الرحلة فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا ومحكا أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته فيقول في معرض تعليقه على رحلة رفاعة الطهطاوي إلى باريس "**السفر مرآة الأعاجيب وقسطاس التجاريب**".[2]

إن الرحلة إذن سلوك طبيعي لدى كل إنسان سوي ، عرف الحياة وأخذها رغم قلة الإمكانيات والأسباب للمهام بها، قصد التعرف واكتساب ما يحيط به من أسرارها، فالإنسان ولد راحلا وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال.

وعليه فهي وسيلة هامة من وسائل البناء والتربية ورصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب من خلال تصوير حضارتهم وطوق معيشتهم.[3]

2- أنواع الرحلة :

لا تخرج أنواع الرحلة بالرغم من تعددها عن نطاق الأصناف التالية: الرحلات العلمية، ورحلة الحج ورحلة التجوال والحروب والرحلات التجارية والسياسية، وأضاف محمد الفاسي – من أهم الكتاب الذين صنفوا الرحلات – أنواعا أخرى: الرحلات الحجازية، السياحية والرسمية والدراسية، الأثرية، الزيارية، العلمية، الخيالية الفهرسية والعامة.[4] فهي تتعدد بتعدد أغراضها ومقاصدها.[5]

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، 2004، ص560.

[2] سميرة أنساعد ، المرجع السابق ، ص20.

[3] محمد الصالح جمال بدوي ، عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادي ، أدب الرحلة في المملكة السعودية ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى 1997 ص10.

[4] سميرة أنساعد ، المرجع السابق ، ص23.

[5] عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، المرجع السابق ، ص23

1. الرحلة الدينية :

الهدف منها زيارة البقاع المقدسة والمدينة المنورة قصد الحج أو العمرة لقوله تعالى :" وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ظامر يأتين من كل فج عميق"[1] وقوله تعالى:" ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا".[2]

يعتبر الحج والعمرة من الدوافع القوية التي أدت بالمسلمين إلى الرحلة للحجاز[3] فاكتست الرحلة إلى الحج قيمة مقدسة، وترددت في كثير من كتب الرحلة العربية، ومذكرات الوافدين والأعلام .[4] ولعل أبرزها رحلة "الورتلاني" الذي سيتم التعريف به وبرحلته في فصول لاحقة.

وقد يتجاوز الهدف الديني في هذه الرحلات إلى الترحال إلى أماكن بعيدة دون الاقتصار إلى البقاع المقدسة، مثل رحلة العبدري ، وابن جبير، [5] الوزير الغساني وابن بطوطة وهم أشهر من يمثل هذا النوع من الرحلة.

فكانت مساهمتهم كبيرة في تطوير الرحلات أسلوبا ومضمونا ، إذ سجلوا العديد من الأخبار والمعارف الخاصة بالبلدان العربية والإسلامية وشعوبها.[6]

2. الرحلة العلمية :

من أشهر أنواع الرحلات وأكثرها شيوعا خصوصا عند المغاربة والعرب عموما.[7] وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذا النوع من الرحلة، فأشهر رحلة علم وردت فيه هي رحلة موسى عليه السلام مع الخضر.

---

[1] سورة الحج ، الآية 27.

[2] سورة آل عمران ، الآية 97.

[3] عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية –مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجريين – دراسة تحليلية مقارنة–مكتبة الملك فهد ، الرياض ، 1996 ، ص40.

[4] حميرة أنساعد ، المرجع السابق ، ص27.

[5] ابن جبير: هو أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن جبير ولد بلنسه في الأندلس يوم 10 ربيع الأول سنة 540هـ / 1145م دامت رحلته عامين وثلاثة أشهر ونصف .أنظر: ابن جبير ،رحلة ابن جبير ، تقديم سليم بابا ، موقع لنشر ، ص07.

[6] إسماعيل العربي ، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص07.

[7] حميرة أنساعد، المرجع السابق، ص24.

ولهذا فالاستزادة من العلم واجبة على الإنسان وجوب السعي والرحلة هي أفضل وسيلة لذلك[1] ففي هذا المضمون يقول الفيلسوف الإنجليزي "فرانسيس بيكون": " إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير".[2]

كان الدارس إذا أتم تعليمه في بلاده يسافر بعيدًا ويرتل بإحدى عواصم العالم العربي(الإسلامي) ؛ فيجالس العلماء ويحضر دروسهم ويسعى في إجازتهم . وهذا ما فعله "محمد المكي الدرعي الناصري" (أواسط القرن الثامن عشر) صاحب الرحلة المراكشية[3]، وقبلها بن زاكور الفاسي (المتوفى سنة 1120هـ/1708م) الذي قضى شهورا بالجزائر العاصمة

يأخذ عن علمائها وفقهائها فصور هذه الإقامة الدراسية في "نشر أزاهير البستان..."، والرحلة العلمية إن صحت بوصف البلدان والمجتمع فإنها تفننت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي [4] فتتيح الاتصال بأعلام المعرفة.[5]

3. الرحلة الاستطلاعية:

هي التي يبتغي من ورائها الرحالة استطلاع ما خفي عليه من أحوال الأمم المختلفة، وتصدر عن حب المغامرة والتجوال فيكون الهدف منها توسيع نطاق المعلومات عن منطقة معينة، أو الحصول على معلومات بشأن مكان معين واستكشاف الأسواق ومبادلة البضائع التي ينقلها من بلده بمنتوجات البلاد التي يمر بها فيسجل ما يلاحظه عن طباع الناس وأخلاقهم وعاداتهم، وكذلك العجائب والنوادر التي تخالف ما تعود عليه والملاحظات الاقتصادية والسياسية والطرائف الدينية .[6]

وقد برز في هذا الصنف من الرحالة المغاربة" الحسن بن محمد الوزان الفاسي "المعروف بـــ"الأسد الإفريقي Lion Africain" الذي شرع في رحلته للمشرق حوالي 1515م 1516م إلى أن قبض عليه قراصنة صقلية فسيق إلى البابا "ليون العاشر"، من أبرز من يمثل هذا الصنف من الرحلات الأوروبية للجزائر العثمانية الرحالة الاسكتلندي "وليم ليثغو Lithgow William" في القرن السابع عشر.[7]

---

[1] عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص33.

[2] سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص20.

[3] لقد خطى في الرحلة خطوات كبيرة بفضل ابن جبير وابن بطوطة صاحب "تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". أنظر: المرجع نفسه ص21.

[4] مولاي بالخميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1979 ، ص10.

[5] أبي الحسن علي القلصاوي الأندلسي، رحلة القلصاوي، تحقيق محمد أبو الإجفان، الشركة الوطنية للكتاب، تونس، ص 66.

[6] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 06.

[7] مولاي بالخميسي، المرجع السابق، ص 11.

4. الرحلة السياسية :

يضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية والإدارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها تفقد أمر الرعية أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة والإتيان بأخبارها[1] وقد ظهر هذا النوع بداية من القرن 16م في المغرب، فكان السلاطين السعديون وبعدهم العلويون يعينون بعض المقربون لهم للقيام بمهمة في البلدان الأجنبية[2] أو الإسلامية لدى ملوكها.[3]

وهذا ما وقع لتسقروتي سنة 1580م عندما كلفه "أحمد المنصور" بالذهاب إلى اسطنبول وما جرى للوزير الزياني سنة 1786م، وعند العودة يكتب السفير تقريرا مفصلا يذكر فيه ما رأى أو ما حدث وما أطلع عليه.[4]

تمثل رحلة هابنسترايت إلى الجزائر العثمانية هذا النوع من الرحلات بالنسبة للأوروبيين ، فقد كلف من طرف ملك بولونيا ومنتخب الساكس برئاسة بعثة علمية إلى شمال إفريقيا ومنها زار الجزائر العثمانية خلال النصف الأول من القرن 18 للميلادي. [5]، هناك أيضا الرحلات الاقتصادية التي كانت التجارة دافعا قويا لها، وخصوصا بعدما تطورت الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي. [6]

---

[1] صورة أنساعد، المرجع السابق، ص 30.

[2] الوزير الغساني كان مبعوثا لمولاي اسماعيل لدى ملك إسبانيا وله «رحلة الوزير في افتكاك الأسير». انظر محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690م-1691م، تقديم نوري الخراج، ط1، دار السويدي، أوظبي، 2002، ص 05.

[3] مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 11.

[4] سجل التسقروتي تفاصيل رحلته في كتابه «النفحة المسكية في السفارة التركية»، وقام بنشرها سليمان الصيد الحامي بمدينة قسنطينة، انظر المرجع نفسه ص11.

[5] جون هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2005، ص13.

[6] صورة أنساعد، المرجع السابق، ص 29.

المبحث الثاني: دوافع هذه الرحلات وأهميتها:

إن لمجيء الرحالة الأوروبيين المغاربة مجموعة من الدوافع والأسباب، تنوعت وتعددت حسب غرض وهدف كل رحالة وخصوصا الأوروبيين، فمن أهم هذه الدوافع:

1- توثيق العلاقات السياسية :

كانت علاقات الجزائر مع أوربا علاقات متقلبة اتسمت بطابع الحروب البحرية منذ القرن السادس عشر في احتلال الجزائر في 1830م، هذا الذي كان يستدعي دخول أحد طرفي النزاع في مفاوضات لتهدئة الوضع، وأهم هذه الحروب هي حملات الهولنديين والإنجليز والفرنسيين والإسبان، ففي جويلية1660م سفير إلى الجزائر الأميرال الإنجليزي مونتان "Montagne" لإبرام اتفاق مع الجزائر لفداء الأسرى الإنجليز.[1]

وفي فيفري سنة 1625م وصل إلى مدينة الجزائر الترجمان الإيطالي "بيانكو" لإطلاق سراح الذين خطفوا على إثر الغزوة التي تعرضت لها سواحل البندقية ، كذلك تفاوض القنصل الأمريكي كاتكارت[2] مع الداي لصالح بلاده.[3]

أما عن علاقاتها مع المغرب فإتسمت بالود والتعاون ، فكان سلاطين المغرب يرسلون مبعوثيهم للسفارة في البلاد مثل "التمقروتي" بهدف الزيارة وتوثيق العلاقات.[4]

2-الجوسسة:

إن الجوسسة مستبعدة إلى حد كبير في الرحلات المغربية للجزائر في العهد العثماني على حسب ما ذكر ، على عكس الرحلات الأوروبية فأطماع الدول الأوروبية كإسبانيا وبريطانيا وفرنسا وهولندا كبيرة لاحتلال الجزائر وخصوصا بعد تضرر مصالحهم التجارية بسبب قوة البحرية الجزائرية ، ولهذا فالأوضاع السياسية الداخلية للبلاد كانت مكشوفة لهم لكثرة ما كان لهم من القناصل والتجار والجواسيس والسواح.[5]

---

[1] يحي بوعزيز ، علاقة الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500م-1830م ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009، ص79.للمزيد من المعلومات أنظر : قاسم نايت قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830، ج1، ط1، دار الأمة، قسنطينة ، 1985 ، ص220.

[2] جيمس إيندر كاتكارت : أنظر التعريف به في ص32 من المبحث الثالث للفصل الأول .

[3] جيمس ليندر كاتكارت ، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص05.

[4] مولاي بالحمسي ، المرجع السابق ، ص11.

[5] عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1999 ، ص79.

وأكثر من هذا استعملت بعض الدول الأوروبية كإسبانيا جواسيسا من بين الأهالي أنفسهم للحصول على المعلومات ، واستعملوا كذلك الرحالين والأسرى الموجودين في سجون الجزائر والعاملين في قصور الدايات تحت غطاء التجارة ودراسة النباتات والحيوانات والبحوث الطبية.[1]

وقد استغلت أوربا جانب الجوسسة إلى حد كبير فها هو "ميغيل دي سرفانتس"[2]، ما إن أتم افتداؤه حتى عاد إلى الجزائر بعد أقل من ثمانية أشهر من تحريره مبعوثا من ملك إسبانيا والبرتغال بوهران ويبدو أن الاختيار وقع على سرفانتس باعتباره جنديا سابقا في الجيش الإسباني والخمس سنوات التي قضاها أسيرا بالجزائر التي مكنته من معرفة أحوال البلاد مما يساعد اسبانيا على احتلال الجزائر [3] والمحافظة على وهران في قلب الحكم العثماني.[4]

لهذا تعد الرحلات المصحوبة بهذه الدوافع نواة للاستعمار لأن كشوفهم الجغرافية والاجتماعية والسياسية...إلخ ، لم تكن سوى ضوء استعمارية شجعت وساعدت النوايا الاستعمارية نحو البلاد العربية – الرحلات الأوروبية فبعض هذه الرحلات كانت بعيدة كل البعد عن روح الكشف والعلم ، ولهذا يرى البعض أن هناك الكثير منها يجب أن تطمس أعمالهم ويبطل التنويه بها في المصادر العربية والأدبيات الإسلامية.[6]

---

(1) أحمد السليماني ، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني ، دحلب ، الجزائر ، 1994 ، ص71

(2) ميغيل دي سرفانتس .أنظر التعريف به في ص27 من المبحث الثالث من الفصل الأول

(3) واسيني الأعرج : على خطى سرفانتس في الجزائر –سرفانتس رحلة الجزائر البحث عن المعنى – ، عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، 2008 ص ص36-38.

(4) احتلت إسبانيا مدينة وهران سنة 1509م بقيادة القائد "بيدرو نافارو" واحتلت المرسى الكبير قبلها سنة 1505م ، ولم تتحرر وهران نهائيا إلا في سنة 1792م .أنظر: توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م)، ط2، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1776، ص110.

(6) حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، 1978 ، ص11.

3- الدوافع العلمية :

كانت الجزائر العثمانية وجهة للعديد من الرحالة الأوروبيين للاستكشاف والبحث، في إطار البعثات العلمية التي كانت تنظمها الملوك والهيئات والجمعيات العلمية حبًا في الاستكشاف وتنمية القدرات، فاهتم هؤلاء الرحالة بدراسة الجغرافيا والمناخ والتضاريس والشؤون الفلاحية والمنتجات الزراعية [1] وغيرها، ومن جهتهم الرحالة المغاربة جاءوا للجزائر بهدف طلب العلم والمعرفة والاستزادة بمعارفها مثل الزياني[2]، والعياشي[3]، وغيرهم من الرحالة المغاربة الذين جاءوا لطلب العلم.[4]

4- الدوافع الإنسانية والدينية :

إن من أهم الدوافع الإنسانية التي جلبت الأوروبيين للجزائر أثناء فترة الحكم العثماني خصوصا إلى إيالة الجزائر هو الأسرى الموجودين بها نتيجة للحروب البحرية التي كانت بينها وبين الأوروبيين ، فبلغ عدد هؤلاء الأسرى رقما هائلا إضافة إلى الأرقاء الكثيرين الذين كان يملكهم سكان المدن الأخرى من الإيالة،[5] فقد وصل معدل رقم الأسرى حوالي ثلاثة آلاف أسيرا في السنوات الأخيرة (1660م-1830م) ، ذلك ما يدل على وجود عمليات الافتداء[6] التي قام بها قساوسة أمثال "الأب دان"[7] الذي حرر إثنين وأربعين أسيرًا فرنسيا.

كما قام هؤلاء الرحالة من القساوسة ببناء المستشفيات والكنائس والدير، خصوصا الفرنسيون الممثلون في طائفة كهنوت الرحمة – من أهم الجمعيات المخصصة لافتداء الأسرى – الذين قاموا ببناء دير بمدينة الجزائر يشرف على نشاطه القساوسة [8]، ضف إليهم الأب الاسباني" خيمينيس" [9] الذي كان نموذجا للرحالة التي جمعت بين الدافع الإنساني والديني، إذ حاول بناء مستشفى بوهران لكن محاولته باءت بالفشل ، فقام بافتداء الأسرى حيث استطاع أن يفتدي أربعة أسرى.[10]

---

(1) عبد الله ركيبي ، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ص2009 ، ص21.

(2) الزياني : أنظر التعريف به ص37 من المبحث الثالث في الفصل الأول .

(3) العياشي : أنظر التعريف به في ص36 من المبحث الثالث.

(4) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص30.

(5) جون-ب-وولف ، الجزائر وأوربا 1500م 1830م ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، طبعة خاصة ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص207.

(6) المرجع نفسه ، ص208.

(7) الأب دان : سيتم التعريف به في ص29 من المبحث الثالث في الفصل الأول.

(8) جيمس كاتكارت ، المصدر السابق ، ص104.

(9) خيمينيس : أنظر التعريف به في ص29 من المبحث الثالث في الفصل الأول .

(10) ميكال دي إيبلز والحادي الوسلاتي، "ملاحظات أب إسباني بزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم" ، المجلة التاريخية المغربية، عدد 12، تونس، 1978، ص ص191، 192.

أما عن الرحلات المغربية فلم يكن هناك بطبيعة الظروف والأحوال أية دوافع إنسانية ، إنما كان هناك رحالة مغاربة وجزائريون حليتهم الدوافع الدينية للترحال للجزائر ومدنها وخصوصا الورتلاني الذي زار الأولياء الصالحين،وعمل على بناء الزوايا وممارسة الشعائر الدينية،[1]كذلك ابن حمادوش الذي نستشف دوافعه الدينية من خلال رحلته التي ورد فيها " قراءة صحيح البخاري " عن أهل مدينة الجزائر[2] سيتم التعريف بكلتا الشخصيتين لاحقا-.

5- الدوافع الاقتصادية:

تعتبر التجارة وتبادل السلع من أهم أسباب الرحلة ومازالت ، خصوصا من الجانب الأوروبي الذي كان يعمل على تأسيس شركات تجارية بالجزائر ، حيث استطاع الفرنسيون بعد أن تحصلوا على موافقة السلطان العثماني تأسيس شركة تجارية مختصة في صيد المرجان[3] ، مما يستدعي حضور أجانب للعمل في هذه الشركات ووصفهم لها ولمعاملاتها ومنتوجاتها.

- **أهمية هذه الرحلات :**

إن الرحلة وسيلة هامة لكتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، بل إنها من مصادره الأولية ، خصوصا أن الفترة العثمانية لم تنل الدراسة اللائقة والاهتمام الجدير بها ، حيث أن الكتاب الجزائريون ظلوا يعتبرون الفترة العثمانية خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالعصور الوسطى ، أو تمهيدًا لدراساتهم المتصلة بفترة الاحتلال ،حتى شُبه تاريخ الجزائر العثماني بفترة "ما قبل التاريخ" أو الحلقة المفقودة في تاريخ الجزائر على حسب تعبير جاك بيري.[4]

تكمن أهمية هذه الرحلات في قيمتها العلمية وفوائدها الإخبارية ومن أهمها:

- تلقي الضوء على فترة مهمة من تاريخ الجزائر بما تضمنته من معلومات وإيضاحات عن الحكم والسياسة والطبيعة والمناخ والاقتصاد...إلخ. خصوصا أنها ملاحظات ناتجة عن شهادات عيان عاشوها أحداثا يومية ودونوها كمذكرات شخصية.

---

(1) الطيب بن إبراهيم ، "أدب الرحلة ومكانته في الثقافة الإسلامية" ، مجلة الدراسات الإسلامية ، عدد 8 ، الجزائر ، 2005 ، ص151.

(2) مختار حساني ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، -مدن الوسط- ج1، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007 ، ص87.

(3) عزيز سامح الير ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 ، ص145.

(4) ناصر الدين سعيدوني ، ورقات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 ، ص21.

- تقدم عرضا شاملا لأحداث ربما كانت مجهولة إلى فترة معينة إلى أن اكتشفت هذه الرحلات[1]—لم يكشف بعد كل الرحلات إلى حد الآن- فنفض عنها الغبار والغموض (وإن كانت النزاهة والموضوعية هي التي تحدد مصداقية المعلومات) كما أنها تساعد الباحثين والأدباء والمؤرخين على معرفة المجتمع الجزائر في تلك القرون.[2] فهي تنقل للمؤرخين ولعلماء الاجتماع والاقتصاديين ، الجغرافيين معارف تاريخية واجتماعية واقتصادية ، فالرحالة يدون مشاهداته الجغرافية ويقدم خدمته لعلم الجغرافيا ، بوصف الممالك والبلدان والأقاليم والطبيعة والمناخ ، وغيرها من الدراسات الجغرافية.[3]
- تعرض من المشاهد والآثار المجهولة ، والعجائب المشوقة وتصفها وصف معاينة ، كما تصور من عادات الناس وأخلاقهم ومشاعرهم تصويرا يبث الحياة والحركة.[4]
- تكشف أسرارًا وأحداثًا لم تعالجها المصادر والمراجع ، كما تشكل ثروة معرفية كبيرة ، ومخزنا للقصص والظواهر والأفكار "فضلا عن كونها مادة سردية مشوقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى ووعي يلم ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر بها".[5]

---

(1) هابنبسترايت : المصدر السابق ، ص17.

(2) عبد الله الركيبي ، المرجع السابق ، ص12.

(3) سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحالة "قديما وحديثا"، مكتبة غريب، الاسكندرية، ص08.

(4) أبو عبد الله العبدري ، رحلة العبدري ، تقديم شاكر الفحام ، ط1 ، دار الطباعة ، دمشق ، 1999 ، ص01.

(5) أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661م-1663م ،ج1، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، ط1 ، دار السويدي أبو ظبي ، 2006 ، ص05.

المبحث الثالث : أهم الرحالة الأوروبيين والمغاربة خلال العهد العثماني.

كان للجزائر إبان حكم الدولة الزيانية علاقات تجارية واسعة مع أوربا ، فرضتها عدة عوامل أهمها طبيعة الموقع الجغرافي وتمتعها بالأراضي الفلاحية ، "فالمملكة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها ، تجارية بطبيعة موقعها ، صناعية بطبيعة سكانها والقاح الجاليات الأندلسية والأسرى الأوروبيين" ، كما أن لها مواصلات تجارية أهمها أوربا والسودان ، وهذا ما يوضح أن هناك علاقات تجارية بين المملكة الزيانية والتجار الأوروبيون.[1]

بالإضافة إلى هذه العلاقة التجارية المتميزة مع أوربا (خصوصا جنوب أوربا) كانت هناك قرصنة متبادلة يمارسها كلا الطرفان ، سواء من جانب النصارى أو من جانب الجزائر ، فقد تحدث الغبريني في عنوان الدراية عن القرصنة فقال "كانت بجاية بلدة غزاة وكان غزاة قطعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسرقون السبي للكثير منها ويرسل الناس لشرائه بحومة المذبح من جهة ربضها وهناك يخمس ويقع القص فيه ، ولم يزل الحال على ذلك وبلغ الحال من كثرة سبي الأدميين أن يباع بيضا وأن من الروم بسواء من الوخش".[2]

هذا ما يبين أنه كان العديد من الأسرى الأوروبيين يحصلون عليهم عن طريق خطفهم من سواحل الفرنجة — بجاية — فكانوا يغالون في فدائهم مما يتعذر على الفرنجة فديتهم ، ولكثرتهم ومهارتهم استعان بهم الأمير الزياني في بناء الدور والقصور.[3]

إذن فبالرغم من وجود الأسرى الأوروبيون بالجزائر ، وهذا ما يقتضيه بطبيعة الأمر وجود رحلات أوروبية هدفها فداء الأسرى ، بالإضافة إلى الرحلات التجارية التي كانت مزدهرة بين الضفتين ، إلا أنه لم تذكر رحلات هؤلاء التجار ، ولا الأوروبيون الذين جاءوا بغية فداء أسراهم ، ولا حتى مذكرات هؤلاء الأسرى مثلما ذكرت في العهد العثماني.

---

(1) مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ، مكتبة النهضة ، الجزائر، 1963، ص ص373-378.

(2) أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر ص76.

(3) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص379-392.

لعل أغلب الظن أنها لم تكتب، أو أنها أتلفت وضاعت، أو لم يتوصل لها بعد، وبمقابل ذلك ظهرت العديد من الرحلات العربية، التي تناولت الجزائر في كتاباتها خلال هذه الفترة.[1]

لكن مع دخول الجزائر تحت الحماية العثمانية [2]بقيادة خير الدين باشا ، زار مدينة الجزائر عدد من التجار والجنود والبحارة والأرقاء والرحالة والقناصل والعملاء الدبلوماسيين والأدباء، فكانت زيارهم لها تعود إلى أغراض مختلفة، لكنهم جميعا تركوا ورائهم حديثا عنها وأوصافا لها تعبر عن تجاربهم، مثلت فيما بعد ثروة طائلة من الوثائق التي يمكن الاستفادة منها في رسم صورة مدينة الجزائر وشعبها.[3]

خصوصا إفادات الجواسيس والرواية الأسرى الذي فاق عددهم عدد الرحالة فكونوا حالية في حد ذاتها صارت لها تقاليدها واهتماماتها الخاصة.[4]

اختلفت رحلات الأوروبيين نحو الجزائر العثمانية ما بين الرحلة الفردية التي يعتمد فيها الرحالة على إمكاناته المالية لتغطية رحلته وبين الرحلة المنظمة التي يكون صاحبها موفدًا من قبل ملوك أو حكومات أوربا للاطلاع على أوضاع البلاد كرحلة "هابنسترايت"، هناك أيضا الرحلة الاضطرارية التي تلعب الظروف والصدف العامل في وقوعها كالوقوع في الأسر مثل سيرفانتس وغيره من الأسرى.[5]

---

[1] نذكر منها كتاب الرحلة المغربية التي ألفها محمد العبدري البلنسي إثر ذهابه إلى المشرق العربي سنة 689هـ/1289م .أنظر: محمد العبدري البلنسي الرحلة المغربية ، تحقيق وتقديم علي إبراهيم كروي ، ط1: دار سعد الدين ، دمشق ، 1999 ، ص ص1-746.

[2] هناك اختلاف في تاريخ انضمام الجزائر للدولة العثمانية ، فالتاريخ المتداول في المراجع هو سنة 1518م بينما التاريخ الرسمي الذي ذكره كورين شوفاليه هو 1519م .أنظر: كورين شوفاليه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510م-1541م) ، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 ، ص ص37: 38.

بينما الرسالة الموجهة من سكان الجزائر بأمر من خير الدين إلى السلطان سليم الأول كانت مؤرخة في أوائل شهر ذي القعدة من عام 925هـ أي في فترة 26 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 1519م أي أوائل 1520م باعتبار الفترة التي استغرقها الوفد المرسل ذهابا وإيابا ، والرسالة عبارة عن وثيقة في اسطانبول اكتشفها المؤرخ التركي "حقي أوزونجارسلي" ونشرها عبد الجليل التميمي في المجلة التاريخية المغربية ، عدد3 ، تونس ، 1976، ص ص95-101.

[3] جون-ب- وولف ، المرجع السابق ، ص147.

[4] هابنبسترايت ، المصدر السابق ، ص09.

[5] واسيني الأعرج ، المرجع السابق ، ص28.

1. أهم الرحالة الأوروبيين خلال فترة العهد العثماني في الجزائر:

لقد وجب تخصيص هذا الجزء لذكر أهم وأبرز الرحلات وتقارير القناصل والأسرى التي غطت تقريبا فترة التواجد العثماني من القرن 16 إلى القرن 19 للميلادي، بذكر الرحالة وما كتبه عن الجزائر دون التعمق في المعطيات مادامت قد حددت القرنين 17و18م الذي كان فيه أغلب الرحلات الأوروبية ، للحديث عن الجزائر العثمانية من خلال أراء ونظرات أهم الرحلات في هذين القرنين (في الفصل الثاني) ، لأن من الصعب الإطلاع على معطيات ومضامين جميع الرحلات في هذا العهد لاتساع هذه الفترة–قرابة ثلاثة قرون– إضافة إلى صعوبة الحصول عليها لندرتها (لم يوجد في بعض الأحيان إلا عنوان الرحلة وتاريخها).

قبل التطرق لهذه الرحلات وجب الذكر، أن مدينة الجزائر جاءت في المرتبة الأولى من حيث تعداد الرحلات والزيارات، فقد ذكر الرحالة مدينة الجزائر أكثر من المدن الأخرى، وأرخوا للأتراك وحكمهم أكثر مما تحدثوا عن الأهالي والمدن والقبائل.[1]

أما مدة الرحلات فاختلفت من رحالة إلى آخر، ما بين أسبوع إلى خمس سنوات إلى أربع عشرة سنة والملاحظ أن الرحلات التي استغرقت مدة إقامة طويلة أغلبها كان نتيجة للأسر.

أ– رحلات القرن السادس عشر:

1- "مارمول كارفاجال L.dMarmol Carvajal" : (1536م)

رحالة ومؤرخ إسباني [2]، ولد بغرناطة وعاش في القرن السادس عشر، اشتغل ضابطا في جيش الإمبراطور شارل كنيط، ثم وقع أسيرًا في يد العرب (سكان شمال إفريقيا) وبقي في شمال إفريقية لثمان سنوات، مما سمحت له الفرصة في التعرف على الجزائر وتعلم اللغة العربية، قام بتأليف كتابه: وصف إفريقيا Description de l'Africa باللغة الإسبانية.[3]

---

[1] مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص07.

[2] عمراوي الحميدة ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2005 ، ص38

[3] مارمول كارفاجال ، وصف إفريقيا ، ج1 ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ، محمد زنيبر ،محمد الأخضر ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ، الرباط 1989 ، ص05.

2- "دونيكولاي Nicolas de Nicolay" (1551م) :

هو من الجغرافيين ، كان من أفراد حاشية الملك هنري الثاني[1] رافق السفير "دارامون" إلى القسطنطينية سنة 1551 م حيث توقف الوفد بموانئ الجزائر ، بجاية وعنابة وقدم لها وصفا دقيقا.[2]

3- "دهايدو Diego de Haedo":

كان من بين القساوسة الذين يعملون على افتداء الأرقاء المسيحيين[3]، وقد أورد معلومات تاريخية هامة عن فترة الوجود العثماني بالجزائر في كتابه "طبوغرافيا عن تاريخ الجزائر العام"[4] ، الذي كان ذات قيمة علمية راقية قدمها بالفرنسيه عام 1608م.[5]

4- الأسير "ميغل دي سرفانتس Miguel de Gervantes": (1547م-1616م)

من مشاهير الأسرى الذين كتبوا عن الجزائر في هذه الفترة ، شارك في العديد من الحرب – معركة ليبانتي سنة 1571م- وكان هدفه مقاومة هيمنة الأتراك الذين كانوا وقتها سادة البحر وكسر طغيانهم ، فحياة سرفانتس بكاملها – حسب ما يذكر واسيني الأعرج – رحلة للبحث عن المعنى المفقود وهو نفسه التي لا يدركها ولا يلمسها ، لهذا اختار سرفانتس سلاحا فتاكا هو سلاح السخرية ، باعتباره أديبا وروائيا ومسرحيا ، وهو صاحب رائعة "دون كيشوت دي لامانشا".[6]

---

(1) لقد ألف دونيكولاي كتابا بعنوان :Les quatre premiers livre des navigations orintales lyon1568 أنظر: عمراوي احميدة، المرجع السابق، ص35.

(2) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص148.

(3) جون-ب-وولف ، المرجع السابق ، ص148.

(4) Diego de Haedo, topographie et Histoire générale d'Alger , traduction de l'espagnole par Moliner-Violle in R.A.paris,1895,pp5-32

(5) عمراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص36.

(6) واسيني الأعرج ، المرجع السابق ، ص11.

قبض عليه في أحد حروبه فأمضى خمس سنوات في الأسر ، وتم افتداؤه في سنة 1580م ، بعد عدة محاولات من طرق عائلته التي لم تستطع تلبية ما طلبه الحكام الأتراك في الجزائر ، الذين طلبوا مبلغا كبيرا ، ثم عاد كمبعوث خاص لملك إسبانيا والبرتغال "فيليب الثاني" إلى الحاكم الإسباني العام بوهران ، عاش معاناة السجون وعرف حياة أهل الجزائر من عادات وتقاليد ، من أهم مؤلفاته التي تناولت الجزائر "معاملات في الجزائر" في سجون الجزائر "Les Bagnes d'Alger".[1]

ب- رحلات القرن السابع عشر :

1- "ليثغو Lithgow":(1615م)

هو رحالة اسكتلندي ، زار مدينة قسنطينة ، بجاية ، الجزائر وتلمسان[2] وسبقه "تاسكا الإيطالي" برحلة مرافقا السفير الفرنسي "دي بريف" (De Braves) من مصر إلى الجزائر عام 1606م ، عنوانها "رحلة من الإسكندرية بمصر رفقة السيد دي بريف لمفاوضة حكام تونس والجزائر سنة 1606م".[3]

يعد دي بريف من أهم السفراء في آخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر الموفدين إلى تركيا التي تسيطر اسميا على القراصنة المسلمين الذين يغيرون على السفن الأوروبية في البحر المتوسط ، أين وقع دي بريف سنة 1604م معاهدة مع البابا تمنح فرنسا امتيازات تجارية في البحر المتوسط.

وتتضمن هذه الرحلة –تاسكا– المعاهدة التي وقعها "بريف" باسم ملكه هنري الكبير مع السلطان العثماني سنة 1604م.[4]

---

(1) واسيني الأعرج ، المرجع السابق ، ص31. لمزيد من المعلومات يراجع : عبد الإله ميسوم:"الجزائر في مسرحيات سرفانتس" ، مجلة الثقافة ، عدد64 الجزائر1981 ، ص ص71-79.

(2) هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص11.

(3) ما تزال الرحلة مخطوطة في إيطاليا ، وعدد صفحاتها 87 صفحة ومقاسها 27 سم ، وعنوانها الأصلي هو Relatione delviaggio d'alessandria d'egitto.con il negotiatichimons di Breves Seco neregni ditunisi d'Algieri ,l'anno (بالإيطالية)

أنظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص174.

(4) المرجع نفسه، ص176.

2- "الأب دان" : (1634م)

من القساوسة والكهنة الذين يعملون على افتداء الأسرى المسيحين [1] ، وهو مؤرخ فرنسي حائز على شهادة اللاهوت من كلية باريس ، ورئيس "دير الثالوث المقدس" الذي تمثلت مهمته في تحرير وافتداء الأسرى الأوروبيون، حيث مكنته رحلته من تحرير اثنين وأربعين أسيرًا عاد بهم إلى فرنسا في مارس 1635م ،ومن جمع المادة الأولية لكتابة "تاريخ بربارية وقراصنتها". [2]

3- "داراند D'Arand": (1675م)

من الأسرى البلجيكيين في الجزائر له كتاب" Emanuel d'Aranda" Les captifs d'Alger. [3]

4 "توماس هيد Thomas Heed" (1675م)

كان من بين الرحالة الذين جاءوا بهدف التجسس لمعرفة أماكن الضعف في الإيالة ، زار الجزائر والبليدة ، وعُد "بناني ***Panti***" كذلك من الجواسيس في الإيالة. [4]

ج- رحلات القرن الثامن عشر :

1- "فرنثيسكو خيمينين (خمينيس)" : (1717م)

من رجال الدين ولد بإسبانيا 1685م أعماله ذات أهمية كبيرة بالرغم من أنها ليست بالحجم الكبير نظرا لمركزه الديني ، ووظيفته الدينية التي تولى خلالها مداوة الأسرى الأسبان وافتدائهم ويعود له الفضل في بناء مستشفى" سان خوان دي ماتا" في تونس بعد فشل محاولته في بناء مستشفى بوهران بسبب رفض الباي . [5]

2- "هارك ولوفس Harck Olufs" :

الأسير الدنماركي في الجزائر (1708م -1754م) ، كان من جزيرة" أمروم Amrum" وهي ملك للدنمارك وتابعة لألمانيا اليوم ، كانت أسرته من كبار البحارة ، إذ كان والده يملك سفينة ، ورحلته الأولى كانت في سن 12

---

(1) جون-ب-وولف ، المرجع السابق ، ص148.

(2) Le père Dan ,Histoire de la Barbarie et des ses corsaires, Pierre Rocolet , Paris, 1637, P284. (http://www.algerie-ancienne.com).

(3) هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص12.

(4) جون ب-وولف ، المرجع السابق ، ص148.

(5) تتكون رحلته من سبعة مجلدات : ثلاثة منها يخص رحلته إلى الجزائر ووهران من 1717م إلى 1720م .أنظر: ميكال دي ايبلز والهادي الوسلاتي المرجع السابق، ص ص191، 192.

سنة أسر علي متن سفينة ألمانية أثناء دخولها للمياه الإقليمية للجزائر وسيق إلى سوق العبيد ، حيث انتهى به المطاف أسيرًا لدى الباي في قسنطينة (عهد حسين باي بوكيمية عام 1717م -1736م) ، فبقي أسيرًا مدة 14 سنة تولى خلالها مهاما عدة أهمها رتبة "خزندار" بين عام 1728م و 1828م ، تولى كذلك رتبة ضابط بجيش الباي من عام 1728م إلى عام 1832م وخلال مدة الأسر تعلم "هارك" اللغة العربية والعثمانية واللهجة المحلية .

حاول والده افتداءه لكنه واجه مطالب كثيرة لم يستطع تلبيتها ، فلجأ إلى جمع التبرعات من الكنائس، ثم رهن أراضيه إلا أن جمع مبلغ الفدية بعد 10 سنوات ألف كتابه عام 1747 م باللغة الدانماركية عن الجزائر وقسنطينة.[1]

3- "لوجي دي تاسي" :(1718م)

قام بدراسة قيمة عن الجزائر ونشرت عام 1725م ، شغل منصب مفوض البحرية للملك فرنسا بأمستردام كتابه كان بعنوان "تاريخ مملكة الجزائر".[2]

4- "توماس شو Thomas Shaw" : (1720م-1732م)

طبيب ورجل دين انجليزي ، يعتبر من بين أشهر الرحالة الأوروبيين الذي زاروا المغرب الأوسط في بداية القرن الثامن عشر ، زار العديد من المدن الجزائرية خلال إقامته التي دامت اثنتي عشرة سنة.

ولد في "كندال" مقاطعة وستمورلند في وسط انجلترا في 1692م ، دون أعماله عن الجزائر في كتابه رحلة في إيالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر [3]وترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1743م[4]

---

(1) النص عبارة عن محاضرة ألقاها الباحث الدانماركي "رهاينهايمر مارتن Rheinheimer Martin" ألقاها باللغة الانجليزية وترجمت باللغة العربية في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية يوم الخميس 27 ماي 2004.أنظر: عمراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص ص27 30.

(2) المرجع نفسه، ص36. لمزيد من المعلومات يراجع : Laugier de tassy , Histoire du Royaume avec l'etat présent de son gouvernement , commissaire de la marine , Amesterdam, 1725, p02

(3) Thomas Shaw , voyage dans la Regence d'Alger au XVIII siecle, traduit de l'anglais par.J.Maccarlly Marlin editeur , Paris , 1830,pp05-77.

(4) عمراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص35.

5- "جون أندري بايسونال": (1424م–1472م)

دامت رحلته سنة واحدة في إطار مهمة علمية استطلاعية[1]، زار من خلالها الشرق الجزائري ، ألف كتابا حول رحلته سمّاه "قصة رحلة إلى سواحل بربريا".[2]

6- "طولو" : (1731م)

مكث أسبوعا واحدا في الجزائر أثناء مرافقته للرحالة "لاكوندامين" الذي وصل في 12جوان1731م .[3]

7- "مورقان" : (1731م)

يعتبر من الأدباء والرحالة الذين زاروا الجزائر في القرن الثامن عشر [4] ، عاش سنوات طويلة في الجزائر ، تولى فيها بعض المهام في قنصلية بلاده في عهد القنصل البريطاني العام السير "روبيركول" (R.cole) ، الذي أقام في مدينة الجزائر أكثر من أربعين سنة وكان على اطلاع واسع بأحوال البلاد في ذلك الحين.

ألف مورقان كتابا عن الجزائر بالانجليزية وعنوانه "الكامل في تاريخ الجزائر" يقع في أكثر من 700صفحة من الحجم الكبير وهو مجلدين :مجلد في تاريخ شمال إفريقية عامة (بربارية) من أقدم العصور حتى بداية القرن السادس عشر،والمجلد الثاني: "تاريخ الجزائر الخاصة" ويحتوي على جزئين: الأول من قدوم العثمانيين حتى تولي الحاج باشا 1545 م والثاني منه إلى بداية القرن الثامن عشر، كان كتابه عبارة عن تصحيح الأخطاء وإزالة العراقيل ونقد المصادر التي تحدثت عن الجزائر بذاتية المؤلف، فاعتمد على بعض المصادر المتنوعة مثل ديغو دهايدو، مارمول، لكنه كان دائما يحتفظ لنفسه بالرأي النهائي.[5]

8- "جون أرنست هابنسترايت J.E Hebenstriet" : (1732م)

من أهالي مدينة "نوشتادت أون أرولا" الواقعة بمقاطعة الساكس بألمانيا، درس الطب بجامعة "بينا" واعتبر من علماء النبات حيث اشتغل عند أحد التجار الأغنياء بمهمة العناية بالنباتات النادرة، هذا ما سمح له بمواصلة دراسته والحصول على مؤهل مكنه بمزاولة مهنة الطب، أثناء ذلك عرف "هابنسترايت" بسلوكه المنضبط وإخلاصه في أداء

---

(1) هابنسترايت، المصدر السابق، ص12.

(2) عميراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص35.

(3) المعلومات عنه قليلة جدا نظرا لقصر إقامته في الجزائر .أنظر: مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص12. لمزيد من المعلومات يراجع : Aberbugger un voyage de Paris a Alger en 1731 par le sieur tollot , R.Atome11,n°66, Alger,p417

(4) جون–ب–وولف ، المرجع السابق ، ص148.

(5) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، ص ص313-315.

عمله مما ساعده أن يحض بثقة ملك بولونيا ومنتخب الساكس، فكلفه برئاسة بعثة علمية إلى شمال إفريقيا لتعرف على نباتات وحيوانات تلك المنطقة وجمع عينات منها لفائدة القصر الملكي [1]، أول الولايات التي زارها هي الجزائر سنة 1732م.[2]

ووصفت أعماله بالاعتدال والموضوعية والنظرة المتزنة بالمقارنة مع باقي الكتابات المعاصرة له، أمثال كتابات "لاكوندامين" 1731م و"طولو"1732م ، فقدم خدمات جليلة في مجال الطب والطبيعة، والجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الرحلة ذات طابع علمي طبي تهتم بالنباتات إلا أن "هابنسترايت" وصف كل ما وجده أمامه سواء نظام الحكم أو عادات وتقاليد السكان والآثار وغيرها.[3]

9- "كوكو فسوف" : (1777م)

ضابط في البحرية الروسية ، زار مدينة عنابة وبقي سنة واحدة قدم كتابه"أخبار موثوقة عن الجزائر".[4]

10- "دي فونتان": (1783م–1784م)

هو عالم فرنسي اختص بالطبيعة اهتم في رحلته للجزائر التي دامت سنتين بجمع الأعشاب لأغراض علمية.[5]

11- الأسير" جيمس ليندر كاثكارت" : (1785م)

أسير أمريكي وقع في الأسر حينما استولى القراصنة الجزائريون على سفينة "ماريا بوسطن" في شهر جوان 1785م وهي أول سفينة أمريكية تقع في يد القراصنة –رياس البحر– فعاش "كاثكارت" حياة الأسر والعبودية في مدينة الجزائر ثم أصبح بعد ذلك موظفا مسيحيا ومديرا لمكتب الداي في الجزائر، حيث كان يعمل واسطة بين الداي والسفراء الأجانب حينما يعجز هؤلاء عن الحصول على مقابلة مع الداي، وفي سنة 1796م عاد إلى الولايات المتحدة

---

[1] أنظر الملحق رقم01 ص74.

[2] هابنسترايت : المصدر السابق ، ص ص12، 13.أنظر كذلك : Mounir Fendri, « trois voyageurs Allemands en Tunisie aux XVIII siècle » RHM,n°35-36 Tunis , 1984,p12.

[3] لقد ظلت الرحلة بعيدة عن أيدي الباحثين ، فلم يحاول الكتاب الفرنسيون الرجوع إليها لصعوبة الوصول إليها ، وأهملوا نشرها وتحقيقها رغم اختصارها وغزارة معلوماتها ، كونها لا تقدم لهم الصورة التاريخية التي تتماشى ونظرتهم لأقطار المغرب العربي(الإسلامي) .أنظر هابنسترايت، المصدر السابق ، ص12.

[4] المصدر نفسه، ص11.

[5] هناك اختلاف في مهمة دي فونتان ، فهناك من يقول أنه عالم الطبيعيات ،وهناك من يقول أنه من رجال الدين ينتمي إلى هيئات دينية والأرجح أنه من المستكشفين والاستطلاعيين والعلماء الذين زاروا الجزائر بهدف دراسة الطبيعة والنبات .أنظر: المصدر نفسه ، ص12.

على حسابه الخاص حاملا معه رسائل تتعلق بصياغة بنود معاهدة للسلام مع الجزائر ، شغل وظيفة حكومية في "فيلاديفيا" لمدة سنتين قبل تعينه حكومته قنصلا عاما في الجزائر ، تونس وطرابلس.[1]

وعقب أسره سجل مذكراته التي تعتبر يوميات تعكس انطباعات حية وأحداثا وقعت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ضف إلى هذا أن مذكراته تعتبر المرجع الأول الذي كتب في موضوع العلاقات المغربية الأمريكية، باعتباره تولي المفاوضات مع الداي في مختلف مراحلها ، قام بوضع مذكراته تحت عنوان "The captives James Leander cathcar" ، قامت ابنته بنشرها في "New Kirk" وطبع في مدينة "La porte".[2]

12- "الأسير تيدنا": (1785م)

ولد "تيدنا" (Thednat) سنة 1758م من عائلة كاثوليكية مارس مهنة تجارة البحر، وخلال رحلة بحرية كان ينقل خلالها براميل الخمر من مالاقا إلى مرسيليا على متن سفينة اسبانية وقع في قبضة قراصنة البحر الأتراك العثمانيين فاشتراه باي معسكر الذي كان بحاجة ماسة إلى شخص متعلم، ثم انتقل إلى قصر الداي "محمد الكبير"، وقد رافق تيدنا "محمد الكبير" في كل تنقلاته.

كتب "تيدنا" مذكراته سنة 1785م على شكل اعترافات منه تضمنت: رواية أسره، معلومات عن المجتمع الجزائري في الداخل بعيدا عن الساحل، مدح خصال باي الغرب محمد الكبير.[3]

13- "رهباندر": (1788م)

قنصل ألماني مكث بمدينة وهران عام 1782م أيام الاحتلال الاسباني لها[4]، خصص جزءا من مذكراته للحديث عن الإدارة التركية في البلاد ولأحوال السكان الاقتصادية والاجتماعية [5] كانت مذكراته بعنوان:

Rehbibder Von, Nachrichten und Memer Kungen Uberden Algiers eben Staat,Altona 1789-1800.[6]

---

(1) جيمس كاتكارت، المصدر السابق، ص 05.

(2) المصدر نفسه، ص 06.

(3) عميراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص ص32-39.

(4) المرجع نفسه، ص38.

(5) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص38.

(6) عميراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص38.

14- "ميشال فونتير دوبارادي": (1788م)

مكث سنتين بالجزائر قام من خلالها بمتابعة بحوثه حول البربرية التي خلفت وأثمرت تأليف كتابه.[1]

د- رحلات القرن التاسع عشر :

1- "بانانتي": (1814م)

هو شاعر إيطالي زار الجزائر عام 1814م، سجل رحلته إلى مدينة الجزائر بعنوان "رحلة إلى سواحل البرابرة" عام 1824م.[2]

2- القنصل "وليام شالر" : (1816م-1824م)

قنصل أمريكا في الجزائر ، ترك مادة تاريخية عالية القيمة عن الجزائر العثمانية وعن حملة إكسماوث البحرية ضد الجزائر عام 1816م ناهيك عن المعلومات الطبيعية من جبال ومناخ، الأنهار، الموانئ والمدن والسكان، التي تكلم عنها بشكل مفصل، كذلك تكلم عن النظام السياسي للبلاد وعن القرصنة، ومبادئها السياسية المصرحة بها، والجانب الاجتماعي والديني للبلاد ، واصفا عادات وتقاليد السكان في رمضان وعيد الأضحى.[3]

3- "سيمون بفايفر": (1825م)

ولد بفايفر بمنطقة "رابنهيسن" بألمانيا حوالي عام 1818م، فقد والديه عندما بلغ السادسة من عمره ، سافر إلى هولندا وهو لم يتجاوز الخامسة عشر، حيث حقق رغبته والتحق بمدرسة بحرية كطبيب — نوع من الثكنات البحرية — التي يلتحق بها عدد من التلاميذ البحريين، والملاحين، والضباط، الأطباء من أجل التعود على حياة البحر ، وفي شهر ديسمبر 1824م صدرت الأوامر بمغادرة الميناء، فاتجهت السفينة "ديانا" التي كان على ظهرها "بفايفر" إلى البحر المتوسط لحماية السفن التجارية من هجمات القراصنة، وعندما كانت في طريقها داهمتها عاصفة رهيبة أوشكت أن تغرقها مما دفعهم إلى إرساءها في ميناء "أورلة" التي تقع بالقرب من أزمير، أين وقع تحت الأسر من طرف فرقة انكشارية أثناء خروجه للتجوال، فنقل إلى الجزائر، فعمل كطاه للخزناجي ثم عينه فيما بعد طبيبه الخاص، أطلق سراحه عام 1830م، حيث عاد إلى ألمانيا وأصدر كتابه "رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر" Mein Reisen und meine fuenfjachrige Gefangen schaft in Algier (بالألمانية)[4]

---

(1) Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII siecle, la Bibliotheque Arabe Sindibad, France,1980 ,P09.

(2) أبو العيد دودو ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م-1855م ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1989 ، ص09.

(3) وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكي في الجزائر 1816م-1824م ،تقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر، 1982 ، ص27.

(4) سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974 ، ص04.

وفي سنة 1833م أصدر بالمدينة نفسها ملحقاته بعنوان : " وصف ولاية الجزائر وسكانها "[1]، نفس الشيء تقريبا حدث مع مواطنه الألماني "فندلين شلوصر" الذي بقي مدة 5 سنوات في الأسر، حتى فك أسره عام 1837م.[2]

هذه إذن قائمة أهم الرحلات الأوروبية أثناء العهد العثماني بزمنها ومدة استغراقها ، إلا أنه وجب الذكر أن هناك رحلات ذكرت ولكن لم يذكر تاريخها وهذا لم أقم بوضعها في هذه القائمة ومنها "رحلة سانسون نابلون Napollon" ، و"دينس دوسولت Dusault" و "كول Cole" الذين كانوا رجال أعمال و "دابر Dapper" كان جغرافيا هولنديا، أما "فرانسيس نايت F.Tnight" والدكتور "أندرهيل Underhill" و "دي روكفيل Rocqueville" فقد كانو من الأرقاء ، والقائمة مفتوحة .

ففي مكتبة نيوبيري Newborry بمدينة شيكاغو تحتوي على أربعين كتابا أو أكثر من الكتب التي ألفها أرقاء تحرروا ورحالة وصحافيون ، وفي كل من المكتبة الوطنية الفرنسية والمتحف البريطاني أكثر من مائة عنوان[3].

هذا كله يبين أهمية مدينة الجزائر خصوصا في نظر الأجانب الذين تماطلوا إليها لأغراض مختلفة، ولكن هل هناك أسيرات أوروبيات في الجزائر؟.[4]

تحدث "أبو العيد دودو" أن هناك إمرأة سويدية عاشت في الجزائر مبجلة انتقلت إلى إسطنبول قبل الاحتلال (الفرنسي) بمدة قليلة ، وقد تحدثت مع بعض الأوروبيين عن أوضاع العبيد في الجزائر[5].

---

(1) سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص06.

(2) لمزيد من المعلومات أنظر: فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام احمد باي (1832م -1837م) ،ترجمة من الألمانية أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر ، 1980 ، ص04.

(3) جون-ب-وولف ، المرجع السابق ، ص148.

(4) عميراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص38.

(5) أبو العيد دودو ، المرجع السابق ، ص09.

أفاد "ميشال دي غراس Michel decrèce" في روايته "ليلة القصر" بمعلومات قيمة على لسان فتاة لم يتجاوز عمرها 15 سنة من جزيرة تابعة للنفوذ الفرنسي وقعت في قبضة القرصنة الجزائرية فأهداها داي الجزائر إلى السلطان العثماني في اسطنبول ، حيث حكت حياة الأسر في قصص مشوقة، وفي غاية الغرابة والدقة.[1]

2- أهم الرحالة المغاربة :

1- "التمقروتي" : (1003هـ-1004هـ/1594م-1595م)

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي التمقروتي (نسبه إلى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الأقصى)، ولد حوالي 1560م، أخذ تعليمه بالزوايا ثم بدأ بالتجوال، تقلد العديد من المناصب الهامة والرسمية ببلاط مراكش، وكلفه السلطان السعدي "أحمد المنصور" بسفارة إلى إسطنبول، توفي بمراكش سنة 1595م بعد أن قام برحلته التي مرت بإسطنبول وتطوان إلى المدن الساحلية الجزائرية، سماها: "النفحة المسكية في السفارة التركية" تحدث فيها عن معلومات تهم البلاد من الصفحة 12إلى19، ثم من الصحفة 76 إلى 86 من الطبعة الحجرية.[2]

2- "العياشي" (1037هـ-1090هـ/ 1628م-1679م)

أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي، ولد بقبيلة "ابن عياش" قرب "تافلالت" (شعبان 1037هـ /ماي 1628م)، تعلم بالزوايا على يد كبار العلماء والمشايخ مثل " عبد الرحمن بن القاضي"، توفي بالمغرب الأقصى في 1679م بسبب الطاعون.

ترك رحلته التي سماها "ماء الموائد" المعروفة بـ "الرحلة العياشية"[3] ضمنها أخبار وحوادث مختلفة[4]، خصص صفحات [5]من رحلته للحديث عن الجنوب الجزائري ولمدنه ولعلمائه ولتاريخه.[6]

---

(1) عميراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص ص38، 39.

(2) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص16.

(3) أنظر الملحق رقم02 ص75.

(4) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص17.

(5) أنظر الملحق رقم03 ص76.

(6) العياشي ، المصدر السابق ، ص05.

3- "ابن زاكور" : (1075هـ-1120هـ/1663م-1708م)

هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن زاكور الفاسي ، أديب ورحالة وشاعر ولد بفاس سنة 1075هـ وتوفي في 1120هـ/1708م ، تعلم بفاس ثم في مدينة "تطوان" .

أخذ عن علمائها من بينهم "محمد القسنطيني الحسني" ثم زار الجزائر للاجتماع بعلمائها والأخذ عنهم فحصل على الإجازات [1] ثم عاد إلى تطوان ، وألف رحلته "نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان" تكونت من (69 صفحة)[2] ، واعتبر من بين الذين تعرضوا للحياة الثقافية في مدينة الجزائر والعلم والعلماء بها.[3]

4- "الزياني" : (1147هـ-1249هـ/1743م-1833م)

هو أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني، رحالة وأديب مغربي، ولد بفاس 1147هـ، وتعلم بها، عين كاتبا بالقصر الملكي، كان ذو مهارة سياسية ومقدرة إدارية، كما عين سفيرا إلى إسطنبول أيام السلطان عبد الحميد الثاني (1774م-1789م) .

زار الزياني وهران كضيف عند الباي محمد الكبير ثم التحق بتلمسان، فقضى بها مدة طويلة بين علمائها، وزار إسطنبول مرة ثانية مارًا بقسنطينة وتونس. توفي في 1249هـ/نوفمبر1833م، تاركا مجموعة من التآليف أهمها رحلته التي سماها "الترجمانة الكبرى"، خصص صفحات للجزائر (الصفحة 140-157والصفحة374-380) حققها "عبد الكريم القلالي "سنة 1387هـ/1967م.[4]

5- "ابن حمادوش الجزائري" :1107هـ/1695م) " تاريخ الرحلة"

هو عبد الرزاق محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري عاش خلال القرن الثاني عشر هجري — الثامن عشر الميلادي في مدينة الجزائر، كانت أسرته من الحرفيين (الدباغة)، عاصر ابن حمادوش أحداثا وتطورات سياسية واجتماعية وثقافية مهمة في تاريخ الجزائر العثماني دونها في رحلته المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" التي أخذت فيها الجزائر والمغرب مكانا بارزًا وحظا وافرا من الكلام والأضواء باعتبار أنه كان

---

(1) لقد كانت الإجازات بمثابة الشهادات العلمية في وقتنا.

(2) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص19.

(3) مختار حساني ، المرجع السابق ، ص74.

(4) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص ص20-22.

يتردد على المغرب للتجارة وطلب العلم .[1] واعتبرت رحلته من المخطوطات النادرة عن الجزائر الذي ترجمها إلى الفرنسية الدكتور "لوسيان ليكليرك".[2]

6- "الورتلاني" : (1125هـ/1713م- 1194هـ/ 1780 م)

الحسن بن محمد السعيد بن الحسن بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف، ولد عام (1125هـ/1713م) بقرية أتو – بجوار قرية بني ورتلان بجبال قرقور (سطيف)-[3]، حفظ القرآن الكريم في زاوية "جدة"، ودرس علوم الفقه والحديث والنحو والصرف، [4] ثم شدّ الرحال داخل الجزائر وخارجها لطلب العلم فزار: بجاية، الجزائر العاصمة تلمسان، مليانة والبليدة ودلس، جبال زواوة، المسيلة، بسكرة قسنطينة وعنابة لتبرك بالأولياء الصالحين، فترك جلّ ما درسه وما لاحظه في رحلته "نزهة الأنظار في فضائل علم التاريخ والأخبار".[5] ونشرها "محمد أبي شنب" سنة 1908 [6]

7- "الأغواطي" :

هو الحاج ابن الدين الأغواطي من المناطق التلية بالجزائر، المعلومات عنه وعن حياته قليلة جدًا تكاد تنعدم ، قام بنشر أعماله قنصل أمريكا "هودسون" الذي جاء للجزائر لمساعدة "وليام شالر" في سنة 1825م، تكمن أهمية هذهالرحلة بكونها تحتوي على معلومات طبية واجتماعية واقتصادية، جغرافية ولغوية ...، عن المناطق التي تحدثت عنها فقد ذكر "هودسون" أن هذه الرحلة تحتوي على معلومات لم يسبق للأوروبيين أن عرفوها حتى الذين رحلوا

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج3، المرجع السابق ، ص ص221-232.

(2) ترجم له كتاب "كشف الطنون" في باريس 1874م ، والكتاب غير كامل بالفرنسية كذلك بالعربية ، فأشرف على هذه الطبعة السيد "عبد الرزاق الأشرف" .أنظر: المرجع نفسه ص221.

(3) يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المعروسة ، ج1 ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص44.

(4) الطيب بن إبراهيم ، المرجع السابق ، ص149.

(5) الحسن بن محمد الورتلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، ط1 ، مكتبة الثقافة العربية ، 2008 ، ص12.

(6) هو محمد بن العربي بن أبي شنب ، ولد يوم الثلاثاء "بتاكبوا" ، متحصل على الشهادة في اللغة العربية "ديبلوم دارات بالجامعة الجزائرية " توفي في 20 مارس 1929م .أنظر: عبد الرحمان الجلالي ، محمد بن شنب حياته وآثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص13. أنظر كذلك : محمد الصالح الصديق ، أعلام من المغرب العربي ، ج1 ، ط2، موفم للنشرالجزائر ، 2008 ، ص103.

تاكبو: أو عين الذهب ، مدينة مشهورة تبعد عن الجزائر العاصمة بنحو مائة ميل جنوبا .أنظر :محمد الصالح الصديق ، "محمد بن أب شنب 1869م-1929م أصالة وحداثة أسباب وأخلاق وعلم" ، مجلة الثقافة الإسلامية ، عدد1 ، 2005 ، ص126.

وكتبوا عن إفريقية.[1] من بين الأماكن التي وصفها: الأغواط، تجمعوت[2]، عين ماضي، جبل عمور، المنيعة[3] وورقلة.[4]

8- "ابن عمار الجزائري" :

مفتي مدينة الجزائر وشاعرها (مفتي المالكية) – لا يعرف إلى الآن متى ولد ولا متى توفي – له رحلة سماها "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، قسمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تحدث فيه عن الداعي إلى تأليف الرحلة، والقسم الثاني: سماه الغرض المقصود والثالث الخاتمة.[5]

وهناك رحلات أخرى ورد ذكرها في المراجع والمصادر التي مرت بي منها "رحلة عبد الرحمان الجامعي" المسماة "التارج المشرق الجامع لمواقيت المغرب والمشرق" الذي وصف مدينة بونة –عنابة– ومدينة الجزائر ، معرجا الجانب العلمي والثقافي لهذه المدن[6]. (تكلم عن طلبة العلم وحملة القرآن ومساكنهم المنحوتة من الأحجار).[7]

كذلك الرحالة "الحسن بن محمد الوزان الفاسي" الذي سبق الإشارة إليه، ينتسب إلى قبيلة "بني زيان" الزيانية الواقع موطنها في أقصى غرب "بلاد غمارة" من سلسلة جبال الريف المغربية له كتاب "وصف إفريقيا" الذي تضمن وصفا لأهم المدن والقرى التي زارها في المغرب ومنها الجزائر – في العهد العثماني-.[8]

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، رحلة الأغواطي في شمال إفريقية والسودان والدرعية ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر ، 1982، ص ص52-59.

(2) تجمعوت : قرية تقع شمال الأغواط على مسيرة يوم .أنظر: المرجع نفسه ، ص65.

(3) المنيعة : قرية في الجنوب الجزائري –مدينة– تقع وسط الرمال .أنظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، ص ص255-257.

(4) المرجع نفسه، ص 183.

(5) المرجع نفسه، ص184.

(6) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر، 1981 ، ص54.

(7) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي ، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر ، ص77.

(8) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج1، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، ط2: دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983،ص06.

ساهم جلّ هؤلاء الرحالة بكتاباتهم ، وأرائهم وانتقاداتهم وحتى مبالغتهم في بعض الأحيان في كتابة تاريخ الجزائر العثماني وخصوصا الأوروبية منها ، ولكن البعض منها – الرحلات الأوروبية – ساهم بقصد أو بغير قصد في تعبيد الطريق للاستعمار الأوروبي (الاستعمار الفرنسي).

الفصل الثاني :

أهم مضامين الرحلة الأوروبية للجزائر العثمانية.

المبحث الأول: المضمون السياسي والطبيعي.

المبحث الثاني: المضمون الاقتصادي والاجتماعي.

المبحث الثالث: المضمون الثقافي والديني.

توفرت مجموعة من الظروف للأوروبيين ساعدتهم أن يكتبوا على الجزائر العثمانية كثيرا ، كالظروف التجارية الدبلوماسية ، الدينية ، وحتى السياسية الحربية ، (القرصنة) ، فأغلب ما كتبوه كان عن مدنها ، وفي مقدمتها الجزائر العاصمة ، ووهران،[1] بحكم علاقة هاتين المدينتين بالدول المسيحية [2] ، إذ رسموا بذلك صورة الجزائر في العهد العثماني ، خصوصا خلال القرنين 17 و 18 الميلاديين ، كما تحدثوا عن أهم الجوانب والمعطيات السياسية الطبيعية الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية للبلاد في الفترة التي عاشوها في الجزائر.

المبحث الأول : المضمون السياسي والطبيعي.

- **المضمون السياسي :**

بالرغم من أن الجانب السياسي الذي تضمنته الرحلات الأوروبية كان مختصرا في بعض الأحيان ، إلا أنه جاء مستوفيا لجميع مناحي الحياة السياسية للجزائر خلال العهد العثماني.

فغالبا ما كان الرحالة الأوروبيون يبدأون كتاباتهم عن تاريخ الجزائر قبل مجيء العثمانيين ، فمثلا "هابنسترايت" بدأ حديثه عن التغيرات التي عرفتها البلاد بداية من القرن الخامس الميلادي حين أخضعها القائد الوندالي "جنسريق" (**Genséric**) لسيطرة الوندال[3] ، الذين دمروا كليا جميع المدن والمنشآت العمرانية التي قام الرومان ببنائها حتى استطاع الإمبراطور "جوستيان" طردهم من البلاد سنة 533م [4] ، فدام حكم الوندال للبلاد إلى أن فتحها العرب سنة 633م الذي تميز حكمهم بالهدوء وقلة المشاكل إلى عهد شرلكان .[5]

---

[1] حضيت وهران بموقع استراتيجي هام ومميزات طبيعية على السفح الشرقي لجبل هيدور—جبل سيدي عبد القادر — الذي تميز بقمة منبسطة على شكل مائدة لذلك كانت محل استقطاب الدول المسيحية .أنظر: الأغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق يحي بوعزيز ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص60.

[2] عميراوي احميدة ،الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجا) ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 ، من ص05-09.

[3] هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص27.

[4] Laugier de tassy,op cit ,pp18,19

[5] **شارلكان** : إمبراطور اسباني شن حملته الفاشلة على مدينة الجزائر في 1541م التي اعتبرت من الأحداث الهامة في تاريخ شمال إفريقيا.أنظر: هابنسترايت المصدر السابق ،ص27.

كما تحدث هؤلاء الرحالة واختلفوا عن أصل تسمية "مدينة الجزائر" فمنهم من يرى أنها كانت تحمل اسم "موريطانيا القيصرية" في الماضي، [1] وبعضهم إدعى أنها "قيصرية رومانية" ، بينما ذهب "مورقان" إلى أن أصلها إفريقي هو "تاكدامت" ، من بقايا المدينة المشهورة التي اختارها الملك "يوبا الثاني" عاصمة له[2]. إن الاختلاف كان واضحا في استعمال لفظ "مملكة الجزائر " وبين "مدينة الجزائر"[3]، فبعض الرحالة استعمل "مملكة الجزائر" (هابنسترايت) ، ذلك للدلالة على مدينة الجزائر أولا ثم عمم على كامل البلاد.[4]

إلا أن جميع الرحالة الأوربيون اتفقوا على تعبير "بربريا" (Barbarie) [5]فحسب دلالة هذه الكلمة تعني أنها كانت مأهولة بأشخاص متوحشين ، مما يعتبر منافيا للحقيقة. فلعل ما يميز موقف هابنسترايت في هذا الشأن أنه أكد أن سكان مدينة الجزائر ، وسكان شمال إفريقيا بعيدون عن التوحش ويقدرون الأحرار ، [6]

ثم تكلموا كذلك عن كيفية دخول العثمانيين إلى الجزائر بقدوم آل بربروس[7] واستنجاد سليم التومي [8]

---

[1] هابنسترايت : المصدر السابق ، ص24.

[2] أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، المرجع السابق ، ص321.

[3] لقد أطلق الأتراك على المدينة منذ القرن السادس عشر اسم "جزائر الغرب" وعلى المغرب الأوسط"بلاد الجزائر" .أنظر: علي عبد القادر حليمي ، دراسة في جغرافية المدن مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م ، ط1، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ص82.

[4] جيمس كاتكارت ، المصدر السابق ، ص82.

[5] بربريا(Barbaric) : تعريف اعتاد الأوروبيون خاصة رجال الدين والقناصل إطلاقه على أقطار المغرب العربي في العهد العثماني (دول شمال إفريقيا) باعتبارها بلادًا تمارس القرصنة ، ويتصف سكانها بالتوحش والقسوة ويتخذ حكامها موقفا عدائيا من الأوروبيون .أنظر : هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص25.

[6] المصدر نفسه ، ص25.

[7] إسحاق وعروج وخير الدين وإلياس وأبوهم يعقوب من الجنود الذين فروا إلى صفوف العثمانيين (مرتدًا من البانيا) في عهد السلطان محمد الفاتح وأمهم كانت مسيحية وترى الإخوة الأربعة بجزيرة رودس .أنظر: مؤلف مجهول ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس ، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي ، دار القصبة الجزائر ، 2009 ، ص06.

[8] حكم سليم التومي مدينة الجزائر سنة 1510م ، وهو ينتمي إلى قبيلة الثعالبة فرع بني تومي ، وقد استنجد بعائلة بربروس لانقاضهم من مذلة الإسبانيين وتحطيم معاهدة الذل والعار التي وقعها سليم التومي في 21 جانفي 1510 بعد سقوط بجاية مع القائد الاسباني "بدرنافاروا"التي منحت للإسبانيين امتيازات دينية واقتصادية ومساعدات مادية وبشرية ، لمزيد من المعلومات أنظر: كورين شوفالييه، المصدر السابق ، ص23

ملك مدينة الجزائر بعروج الذي أطلق عليه في كتاباتهم "بالقرصان عروج بربروسة" ثم على طريقة اغتياله "لسليم التومي"[1] واستيلاءه على البلاد قبل هلاكه فيما بعد بعد حروبه ضد الإسبان[2] ثم انتخاب الأهالي لأخاه "خير الدين " ليخلفه ، كما أطالوا الحديث عن انضمام الجزائر للدولة العثمانية والإعتراف بالسيادة العثمانية على البلاد[3].

وقد انفرد "لوجي دوتاسي" بقصة حب عروج للأميرة ظفيرة أرملة سليم التومي الذي حاول الفوز بقلبها إلا أن محاولاته باءت بالفشل لأن الأميرة انتحرت بالسم.[4]

أما عن النظام السياسي القائم آنذاك بإيالة الجزائر ، فتعرض غالبية الرحالة له خاصة "دوتاسي" و "بيسونال" و "دوبارادي" و "بانانتي" ، حيث ذكروا تشكيلة الحكومة المؤلفة من الباشا[5] أو الداي [6] والديوان [7] وعن صلاحيات كل منهما، كذلك مجموعه كبار الموطفين الذين يعتبرون بمثابة الوزراء وأهمهم الخزندار[8] ثم أغا الإنكشارية[9].

---

(1) هناك من المصادر من يقول أن سليم التومي أغمي عليه فمات من جراء ذلك لعدم وجود من ينقذه وهناك من يقول أن عروج قتله خنقا فمن الذين ادعوا ذلك "كورين شوفالييه "و الأب "دهايدو ".أنظر: Diego de Héaodo,op cit,p35

(2) لقد استشهد عروج أثناء قتاله للاسبانيين بعد تسليمه لقلعة تلمسان وخروجه منها هو وجنده لكنهم ماكادوا يقطعون مسافة قصيرة حتى أدركتهم فرقة إسبانية مكونة من خمسة عشر إلى عشرين ألف جندي فدارت معركة بين الفريقين استشهد خلالها عروج.أنظر: محمد دراج ، مذكرات خير الدين بربروس ، ط1، شركة الأصالة للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص91.

(3) هاينستراير ، المصدر السابق ، ص27.

(4) Laugier de tassy , op cit,pp22-31.

(5) باشا : معناها في الأصل قدم الملك أو الشاه ثم صار معناها "مستخدما" واستعملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات .أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000، ص52.

(6) كان مدخول الداي ذات قيمة معتبرة ، فقد قدرها "لوجي دوتاسي" بمائتي ألف قرش أو فلورين في السنة .أنظر: هاينستراير ، المصدر السابق ، ص41.

(7) كان الديوان يتكون من كبار المسؤولين الإنكشارية والباشا والمفتي والقاضي والكواهي- جمع كاهية أي كاتب – بالإضافة إلى الأغوات. أنظر: جون-ب-وولف ، المرجع السابق ، ص128.

(8) الخزندار أو الخزناجي "Haznedr" أمين الخزانة ، يباشر مهامه المالية بحضور الداي وأعضاء الديوان فيتسلم موارد دخل الإيالة ليودعها في خزينة الدولة أو يسحب المبالغ المستحقة لسد نفقات الدولة .أنظر: ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792م-1830م ، ط2، المؤسسة الوطنية ، الجزائر ، 1985، ص170. للمزيد من المعلومات أنظر: Thomas Shaw,op cit,p167.

(9) أغا : AGA مصطلح من أصل فارسي ويعني السيد أو صاحب المنصب الكبير .أنظر: سهيل صابان ، المرجع السابق ، ص15.

ونظام القضاء ومختلف القوات العسكرية (الجيش الانكشاري) [1]إضافة إلى القوات البحرية (رياس البحر). وتأثيرهم الكبير على اتخاذ القرارات لا سيما تلك التي تتعلق بالحرب والسلم ثم باقي الضباط الكبار ، كما تحدثوا عن البايلكات ودار السلطان، والبايات أو نواب الباشا على مقاطعات الشرق والغرب، وعلى قضية اغتيال الأغوات والدايات[2].

كما كانت القرصنة [3]موضوعهم المفضل، حيث نالت حظا وافرا في كتاباتهم خصوصا عادات القراصنة وعددهم وعدد السفن التي يملكونها ومدى خطورتهم على أوربا. [4]

كما أشار الرحالة خاصة القناصل الأوروبيون للعلاقات السياسية لإيالة الجزائر مع الدول الأوروبية ، فقد تعرض «كاتكارت» قنصل أمريكا لعلاقات الجزائر بالدول الأوروبية ، ووصفها بالتنافس والتطاحن من أجل المصالح السياسية والتجارية للحصول على الحظوة لدى الجزائر –باعتبارها في ذلك الوقت سيدة البحر المتوسط –خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تتبادل معها المراسلات والمفاوضات بين القناصل ووزارة الخارجية الأمريكية وبين الداي [5] إضافة إلى علاقاتها مع الدنمارك التي وصفها «هارك ولوفس» بالتوتر والتأرجح بين المد والجزر. [6]

لم يقتصر الكلام على علاقات الحكومة العثمانية بالجزائر مع الدول الأوروبية فقط بل بعلاقاتها بكافة أرجاء البلاد خصوصا منطقة القبائل التي اتسمت بالقلق والاضطراب تارة ثم التحالف والتعايش تارة أخرى ، إذ عرفت

---

(1) الإنكشارية (يني جري) Yeniçeri معناها القوات الجديدة ، مصدرها الدرويش "حاج بكتاش ولي" الذي أطلق هذا الاسم لأول مرة على فرقة عسكرية .أنظر: سهيل صابان،المرجع السابق، ص41.

(2) جون–ب–وولف ، المرجع السابق ، ص129.

(3) هي القرصنة أو لصوصية البحر عند الرحالين الأوروبيين ، ويعرفها كورين شوفاليه بأنها " ظاهرة استيطان البحر الأبيض المتوسط ، قديمة التاريخ أتت لتضيف ثروة مكملة لتلك الثروة الموجودة في مجتمع بقي دائما في حدود إمكانياته" أما بالنسبة للمسلمين فهي شكل من أشكال الجهاد في البحر .أنظر : كورين شوفاليه ، المصدر السابق، ص49.

(4) قدر "دان " عدد هذه السفن –القرصنة- 28 سفينة في 1634 م، أما "نايت" الذي كان أسيرا في الجزائر من 1631م إلى 1338م فقدرها بـــ90سفينة من كل الأنواع ، أما الأهالي في مدينة الجزائر فعددوها بـــ122سفينة .أنظر: منور مروش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ، القرصنة الأساطير والواقع،ج2، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009 ، ص228.

(5) جيمس كاتكارت ، المصدر السابق ، ص75.

(6) عمراوي احميدة : قضايا مختصرة بين تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص30.

توترًا حادًا في عهد الداي "محمد بن حسن" بسبب رفض المنطقة دفع ما كان يتوجب عليها من ضرائب ، على إثر هذا قامت ثورات ضد حكام الإيالة من العثمانيين. [1]

- **المضمون الطبيعي :**

زار الجزائر العثمانية مجموعة من علماء الطبيعيات من بينهم : "بيسونال" و "هابنسترايت" الذي كان اهتمامه منصبا أكثر على دراسة النباتات من أشجار العنب والبرتقال واللوز، الزيتون، نباتات الصبار — يأخذ الفقراء من ثماره غذاء لهم —والنخيل والكروم التي يزرعها المسيحيون في حدائقهم، ثم يحولونها إلى زبيب بعدما يعالجونها بالنار ليستخرج منه المشروبات ، مما جلب اهتمام "هابنسترايت"، كذلك حصوبة أراضي الجزائر ذات السهول الملوية والهضاب (سهول متيجة ووهران)، "كما درس أنواعا مختلفة من الحيوانات المتوحشة التي تعيش بجبال الأطلس (من جملة الحيوانات التي ذكرت في رحلته: اللبوءة التي قدمها له ابن الباي، الظبي، القنفد، القطط المتوحشة، طيور النعام). [2]

زيادة على هذا اهتم الرحالة بجغرافية المناطق خصوصا مدينة الجزائر :" بنيت مدينة الجزائر على منحدر هضبة مرتفعة[3] ، تقع بين خطي عرض 33° و37° شمال خط الإستواء ، وبين 15° و20° من خطوط الطول ، يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب مملكة فاس ، ومن الشرق مملكة تونس ، ومن الجنوب جبال الأطلس" .[4]

أما "شو" فيعتقد أن " عرض مملكة الجزائر" في اتجاه تلمسان لا يتجاوز 40 ميلا، وأن متوسط 60 ميلا يمثل عرض المملكة انطلاقا من البحر حتى الصحراء . [5]

---

[1] زين قاسيمي ، قيادة سيباو ، تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي(1720م-1857م) ، دار الأمل ، ص69. للمزيد أنظر: Degrammont ,Histoire d'Alger sous la domination turque 1515,1830 ed, leroux,paris,1887,p229:

[2] هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص ص49، 50.

[3] جيمس كاتكارت ، المصدر السابق ، ص68.

[4] هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص25.

[5] وليام شالر، المصدر السابق ، ص ص27، 28.

ميل = 1.6 كلم

المبحث الثاني :المضمون الاقتصادي والاجتماعي.

يعتبر الجانب الاقتصادي والاجتماعي من أهم المواضيع التي نالت اهتمام الرحالة الذين جابوا أنحاء البلاد وأوساط المجتمع الجزائري.

- **المضمون الاقتصادي :**

يجمع معظم الذين زاروا الجزائر من الرحالة الأوروبيين أن الاقتصاد في الجزائر خلال العهد العثماني خصوصا في القرنين 17 و 18 للميلادي كان قائما على "القرصنة" ، إذ تعتبر هي المورد الرئيسي للبلاد ومصدر الثروات بفضل الغنائم التي تجنى منها هذه العملة ، فيؤكد "دولاكروا" الذي كتب خلال الستينيات من القرن الثامن عشر هذا الانطباع "...ليس لهم سوى مقدرة محدودة على التجارة ، رغم أنهم يقومون بأعمال تجارية عديدة...إنهم لا يعيشون إلا بالقرصنة»[1]، إلا أن هذا الطرح تنفيه الدراسات التاريخية التي تناولت اقتصاد بلاد الجزائر مع الدول الأوروبية ، إذ كان لها نشاط تجاري كبير مع فرنسا ، إيطاليا ، تركيا ، ومع دول شمال إفريقيا كتونس وطرابلس ، إضافة إلى دول المشرق العربي (سوريا والحجاز) .[2]

كما يؤكد "دهايدو"هذا الطرح بأن وضع التجار في الطبقة الخامسة من سكان الجزائر ، معظمهم كان في الأول إما من الإنكشاريين أو البحارة والأندلسيين، [3] فتتمثل تجارتهم عموما في الحبوب ، الأبقار ، الأغنام ، الصوف ، الجلد وغيرها ، التي تصدرها إلى الدول الأوروبية ثم للمدن المغربية الساحلية الواقعة شمال المغرب (تطوان وأصيلا + العرائش).[4]

ومن الأدلة الواضحة على ذلك أن "تيدنا" ذكر أنه كان يشرف على تصدير الحبوب والصوف والشمع من مستغانم – هو الميناء المهم للبايلك لأن وهران كانت لا تزال في يد الإسبان –وفي يوم 22 أكتوبر 1782م أبحرت سفينة إقليمية محملة بالصوف والشمع متجهة إلى مرسيليا.[5]

---

[1] جون–ب–وولف ، المرجع السابق ، ص155.

[2] يمينة درياس ، السكة الجزائرية في العهد العثماني ، ط1 ، دار الحضارة ، الجزائر ، 2004 ، ص22.

[3] Diego de Heaodo,op cit,p52, 53

[4] يمينة درياس ، المرجع السابق ، ص23.

[5] عسيراوي احميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص91.

يضيف أن بعض السنوات وصلت الشحنات إلى عشرة مراكب فرنسية وانجليزية، ويوافقه"فونتيردوبارادي" بقوله:" في سنة 1787 م تشحن من تلك المنتوجات – الحبوب والصوف والشمع – ستة وعشرون مركبا من ميناء أرزيو". [1]

ضف إلى هذا اشتهرت إيالة الجزائر وباقي مدنها بزراعة المنتوجات الزراعية، فيخبرنا "دوبارادي" عن زراعة الأرز بمليانة :"...في إقليم الجزائر وعلى مسافة يوم واحد من المدينة بإتجاه الجنوب، يزرع الأرز في منطقة محصنة بجدار تسمى منيانة (مليانة)، وشرع أيضا في زراعته منذ سنوات في غرب البلاد". فقدر الإنتاج السنوي لهذا المحصول في مليانة ما بين خمسة وستة آلاف قنطار". [2]

عرفت الجزائر كذلك بإنتاج مختلف المعادن كالرصاص والحديد والنحاس، فأشار معظم الرحالة عن وجود المناجم بمختلف مدن وولايات البلاد، إذ يذكر "شو" أهمية منطقة بجاية في إنتاج المعادن ودور مناجمها التي كان حديدها بشكل سبائك يتم تسويقه إلى مدينة بجاية والجزائر، وأن قسما من حديد هذه المناجم كان يستخدم في صنع عجلات العربات وأشياء أخرى.[3]

يبرهن ذلك "حمدان خوجة" بتوضيح طريقة استخراج خامات الحديد والرصاص وملح البارود.[4]

---

(1) عمراوي احميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص91.

(2) ودان بوغفالة ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني ، ط1 ، مكتبة الرشاد للطباعة ، الجزائر ، 2009 ، ص ص61، 62.

(3) درياس لخضر ، المدفعية في العهد العثماني ، ط1 ، دار الحضارة للطباعة ، الجزائر ، 2007 ، ص77.

(4) حمدان بن عثمان بن خوجة ،المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد الزبيري ، ط2، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982 ، ص67.

وقد ذكر "الشريف الزهار" أن الباي – باي معسكر- عندما يأتي بالدنوش السنوي للداي يكون مرفقا بتحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد ، والأثاث الفاخرة محمية بجيش كبير من أتباعه وقواد راكبين الخيل ذات السروج الذهبية ، وعليهم لباسهم الفاخر.[1]

مما يوضح أن هناك حركة تجارية واسعة وتطور كبير في الحياة الاقتصادية داخل الإيالة وخارجها ، ليفند الطرح القائل بأن القرصنة هي النشاط الوحيد للتجارة والاقتصاد في تلك الفترة.

- **المضمون الاجتماعي :**

خصص الرحالة الأوروبيون جزءا كبيرا من رحلاتهم لوصف الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك في مناطق الجزائر المختلفة ، فتحدثوا عن تركيبة المجتمع الجزائري المتنوعة ، من العرب والبربر الذين يمثلون الأهالي ، الأندلسيين والأتراك الخلص المنحدرون من أباء وأمهات أتراك سيقدمون في الغالب من المشرق أو قد يأتي بهم القراصنة بالقوة إلى الجزائر ، ثم الكراغلة– من أباء أتراك وأمهات جزائريات [2]، لم يسمح لهم بتولي المناصب السامية التي ظلت حكرا على الأتراك الخلص – ثم تأتي طبقة اليهود والمسيحيين.[3]

يمثل الأهالي أغلبية السكان في المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني ، فقدر "دابر" (Dapper) ، عدد سكان مدينة الجزائر خمسة وعشرون ألف عائلة من الأهالي .[4]

أطال الرحالة الحديث كذلك على عادات وتقاليد الأهالي وسكان المدن ،خصوصا حسن الاستقبال والكرم سواء مع أهل البلاد أو مع الأجانب ،[5] إذ تميز المجتمع في تلك الفترة بإكرام الضيف والسهر على إطعامه وراحته، [6] إلا أن "لوجي دوتاسي" ينكر ذلك فيخبرنا بأن أخلاقهم تتصف بالكثير من الخشونة والتكبر ، والاحتقار المفرط لكل الأجانب ، خصوصا الإسبان الذين ينظرون إليهم كغاصبين لبلدانهم.[7]

---

(1) محمد الشريف الزهار ، مذكرات محمد الشريف الزهار ، تقديم أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر ، 1974 ،ص36.

(2) هابنسترايت : المصدر السابق ، ص24.

(3) جون-ب-وولف ، المرجع السابق ، ص162.

(4) المرجع نفسه ، ص165.

(5) وداد بوغفالة ، المرجع السابق ، ص67.

(6) جيمس كاتكارت ، المصدر السابق ، ص83.

(7) Laugier de tassy,op.cit,pp69-73.

وللرد على هذه الاتهامات لا يوجد أبلغ مما سجلته سيدة ارستقراطية إنجليزية تدعى "صوفيا برنارد" التي زارت الجزائر في هذه الفترة عن أحوال المجتمع الجزائري التي قالت "أنهم يمتنعون عن تناول المشروبات الروحية ليت جميع الأمم تحذو حذوهم !وأما لباسهم فجميل جدا ، وأما سلوكهم مع الأجانب فهو يتسم بطيبة القلب وروح المجاملة إنهم كرماء الضيافة ، وباختصار فإن إقامتي في الجزائر كانت قصيرة ولكنها مليئة بالمتعة وأنا أعتقد أنه من المستحيل أن يجد المرء في أي مكان آخر في العالم لباقة وأدبا ورعاية مما يجده في الجزائر". [1]

فقد أجمع معظم الرحالة على غياب النساء عن الحياة العامة واحتشامهن الشديد[2] ، بلبسهم للحجاب عند بروزهم أمام الجمهور أو أمام أجنبي.[3]

و بالرغم من سترة المرأة وتحجبها إلا أنهم يبالغون في الغيرة عليها وعلى أعراضهم ، فلا يجوز حتى ذكر أسمائهن يكون السؤال عن أحوال العائلة بصيغة الجمع النكرة ، فأي تحديد أو مقاربة لصفات المرأة المتزوجه قد يثير شحنه من الغيرة لا تحمد عقباها.[4]

أما المرأة الفلاحة في البادية فتظهر بمظهر مخالف عن المرأة في المدينة استنادا إلى ما قاله "شو"Shaw بأنها تلبس حايك تحته قميصا وسراويل ؛ وتغطي رأسها بقطعة قماش تتخللها خيوط ذهبية وفضية ، وتلبس معها قطعة مثلثة من القماش ، ذلك لطبيعة عملها في الأرض والفلاحة.[5]

أما نساء المدن فكانت شديدات الرغبة في الروائح والأطرزة المزركشة ، وكثرة استعمالهن للكحل والحناء.

إلا أن الموضوع الذي ركز عليه الرحالة وأسال حبر أقلامهم كثيرا هو الأسرى المسيحيين ووضعيتهم داخل السجون والكيفية التي كانوا يعاملون بها، خاصة الآباء المنخرطون في المؤسسات الدينية التي انصرفت إلى افتداء الأسرى.[6]

---

[1] محمد أوجرتني ، "القيم الدينية والحضارية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني في كتابات بعض الرحالة الأوروبيين "، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة ، عدد 13 ، 2012 ، ص110.

[2] محمد أوجرتني ، المرجع نفسه ، ص110.

[3] أليسور ،ويلد ، رحلة طريفة في إيالة الجزائر ، تحقيق وتقديم وترجمة محمد حيحلي ،ط1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2002 ، ص25.

[4] محمد أوجرتني ، المرجع السابق ، ص105.

[5] وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ص107.

[6] أغلب هذه المؤسسات فرنسية وإسبانية وإيطالية دأبت على تقديم خدمات طبية في إطار نشاطها الديني ، ووظفت من أجل ذلك بعض رحال الدين ، فكانوا يوفرون الملاجئ والمصحات والمستشفيات للأسرى. أنظر: هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص34.

فقد بالغوا في وصفهم إذ استعرضوا قائمة بأنواع التعذيب (الأب دان) ؛ ليس الآباء فقط ، فها هو «كاثكارت» الأسير الأمريكي يصف حالتهم في الأسر بالمزرية والإهمال بيقائهم دون طعام لأيام ، حتى إذ قدم لهم الطعام فأي طعام «.. .حبات من الزيتون الأسود الرديء، مع بعض الخل وخبز خشن قديم مع شيء من الزيت والماء» ، إضافة إلى القذارة والقمل والباعوض ، نتيجة لعدم استحمامهم لأيام طويلة حسب ما ذكره.[1]

لكن جل هذا اعتبر زيادة ومبالغة في الأمر ، بالنظر إلى ملاحظات الرحالة الأوروبيين أصحاب النظرة الموضوعية والمصداقية في الكتابة.[2]

فيصف« دي فوننين» الأسرى المعتقلين لدى معسكر الذي بلغ عددهم نحو خمسين فردًا بأنهم يعيشون حياة مريحة لأن الباي يحب المسيحيين ويعاملهم بلطف ويوزع عليهم الأرزاق والأموال لإشباع حاجاتهم.[3]

وكان «هانستابت» شاهدا على المعاملة التي تلقاها الأسرى المسيحيين في الجزائر ، فوجدها أكثر إنسانية وأحسن بكثير من حالة الأسرى المسلمين الذين يعملون في قوارب التجديف ، وآلام المسلمين في سجون «ليفورن»Levourne و«برشلونة ».[4]

مما يبرهن على حسن معاملة المسيحيين هو تقلد بعض الأسرى كتيدنا مهاما ومناصب مهمة في بلاط الحكم (خزندار)[5] وإرتقاء الأسير الأمريكي كاثكارت إلى قنصل أمريكا في الجزائر.[6]

أكد بعض الرحالة الأوروبيين(دوتاسي، بيسونال) زيف هذه الشهادات فبينوا الهدف الذي يصبون إليه بمبالغتهم في وصف القسوة التي يتعرض لها المسيحيون للحصول على تبرعات أكثر بإثارة عواطف الناس ، لأن المبالغة والقسوة والرعب هي الأشياء الوحيدة التي تستطيع أن تلين القلوب ، كما يرمون إلى تغذية الحقد على المسلمين حتى تؤثر في الأوروبيين فيشنوا حربا صليبية جديدة على المسلمين.[7]

---

(1) جيمس كاثكارت ، المصدر السابق ، ص ص19-21.

(2) Louiche René,Des fontaines,Frayments d'un voyage dans la regence de tunis et d'Alger, tome second, librairie de gide,Paris,1838,pp184,185.

للمزيد من المعلومات أنظر: محمد أوجرتني ، المرجع السابق ، ص ص 109، 110

(3) المرجع نفسه، ص 110.

(4) مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص07.

(5) عمراوي احميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 41.

(6) جيمس كاثكارت، المصدر السابق، ص 04.

(7) محمد أوجرتني ، المرجع السابق ، ص 110.

المبحث الثالث : المضمون الثقافي والديني.

تتسم الكتابة في هذا المجال بالصعوبة لارتباطها بقضايا مجردة غير قابلة للقياس في مجملها ، لذا تتصف الدراسات فيها بالشح باستثناء ما ذكره الكتاب والرحالة الغربيون وأحيانا الرحالة المغاربة.

- **المضمون الثقافي :**

إن الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية ، لم تحظ باهتمام الرحالة الأوروبيين كثيرا مقارنة بالمجالات الأخرى التي أسهبوا فيها ، لكن هذا ليس تداركا وإهمالا منهم ، بل إن الثقافة في هذه الفترة كانت مهمشة "ورهن فراش الاحتضار".

فغالبية الرحالة الذين تعرضوا لهذا الجانب نفوا وجود التعليم في كامل إيالة الجزائر ، باستثناء التعليم الديني – تعلم القرآن الكريم حيث يتعلم الأولاد القرآن في المساجد ، ليجلسون في حلقة حول المعلم ويحفظون القرآن ، إضافة إلى وجود عدد من المدارس الصغيرة لتعليم القراءة والكتابة فقط. [1]

أما علوم الفيزياء والكيمياء والفلك والحساب فلم تكن موجودة في المدارس ، ففرضا وجدت فإنها لن تحظ باهتمام السكان من العرب أو الأتراك الذين اعتبروها مضيعة للوقت دون فائدة ، استنادا على ما قاله "شو" بعدما اجتمع مع جزائريين من فئات اجتماعية مختلفة المستوى :" إن الفلسفة والحساب ومعرفة الفيزياء والطب ، التي كانت منذ بضعة قرون فقط تكاد تكون حكرا عليهم (يعني العرب المسلمين) ، أصبحت غير معروفة أو مدروسة ، إلا قليلا (بالجزائر) في الوقت الحاضر ، إن حياة العرب البدوية وغير المستقرة والمظالم التي يرتكبها الأتراك ضد الحضر (السكان) ، لن تسمح لأيهم بالتمتع بالحرية والهدوء والأمن التي أنجبت المعرفة في كل الأزمنة ، ففي ما يتعلق بالأتراك هم عموما ذو طبيعة مضطربة وغير مستقرة ، أو أنهم غارقون في التجارة وإصلاح أحوالهم المادية لدرجة أنهم لا يجدون وقتا للمعرفة ، حتى أنهم يبدون اندهاشهم ، وكانوا يسألونني : كيف يجد المسيحيون لذة أو يضيعون وقتهم ونقودهم في مثل هذه الممارسات الفارغة مثل الدراسة والتفكير". [2]

أما "دولاكروا" فيقول :" إن شعب المغرب العربي جهلة ، وليس لهم ذوق في العلم أو الفن ، وهم بخلاء وغلاظ". [3]

---

[1] جون-ب-وولف ، المرجع السابق، ص 151.

[2] Thomas Shaw,op.cit,p353 للمزيد من المعلومات أنظر : جون-ب-وولف ، المرجع السابق، ص 154.

[3] المرجع نفسه، ص 155.

و يؤكد ذلك أبو القاسم سعد الله عند تناوله لتاريخ الجزائر الثقافي في العهد العثماني بأن الثقافة في هذه الفترة كانت متدنية المستوى واعتبرها من سلبيات الوجود العثماني في الجزائر.[1]

إذ يرجع ذلك إلى عدم اهتمام الأتراك بالثقافة والتعليم[2] ، فهم لم يبذلوا أي جهد من أجل ذلك :" لم يكونوا يتكلمون لغة البلاد ولا يتذوقون أدبها ، ولا يقرأون كتبها ، ولا يتصلون بعلمائها اتصالا عاطفيا وعقليا كما فعل قبلهم أمراء بني زيان وبني حفص وغيرهم ".[3]

فالجزائر خلال هذه الفترة حرمت من جامعات ومعاهد للتعليم العالي كجامعة القرويين أو الزيتونة أو الأزهر بمصر مما جعل علمائها يتكونون خارج بلادهم ، وكثير منهم لا يعودون أصلا.

و يذكر "باناتي" بأن معارضة الحكومة العثمانية في الجزائر لإدخال المطبعة لا يعود كما كانت تدعي إلى الخوف من فقدان الناسخين حرفتهم وحبرهم ،لكن السبب الحقيقي هو منع نشر المعرفة والثقافة في أوساط المجتمع الجزائري .[4]

أما الفنون والموسيقى فانفرد "شو" بالتحدث عليها حيث ذكر آلاتهم الموسيقية المتنوعة ، ثم موسيقاهم المفضلة التي اعتبرها مجرد لهو وترفيه وليس علما من العلوم.[5]

إذا كانت الحكمة تقول : " الناس على دين ملوكهم فإنها في الجزائر تصبح ثقافة العلماء على قدر ثقافة الحكام". لأن أغلب الحكام كانوا يكتفون بالقليل من العلم لأن لا أحد سيطالبهم بتجويده ولا بالمزيد فيه.[6]

"فاقد الشيء لا يعطيه" لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فالثقافة في ذلك العهد وإن فقدت معظم خصوصياتها تبقى ثقافة عربية إسلامية متأصلة من عادات وتقاليد وإسلام المجتمع الجزائري.

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م ،ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995 ، ص18.

(2) إن الأتراك لم يكونوا يوما دعاة ثقافة وإنما كانوا رجال حرب فليسوا بمثقفين ثقافة عربية النزعة تدفع بهم أن يشتوها في مجتمع طالما أحب العربية.أنظر : محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص467.

(3) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص166.

(4) المرجع نفسه، ص 166.

(5) Thomas Shaw,op.cit,pp77-80

(6) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص18.

- **المضمون الديني :**

لا تعدوا أخبار الرحالة الأوروبيين عن عقائد الجزائريين في الفترة العثمانية مجرد ملاحظات سطحية أو أخبار وروايات متناقلة ، تفتقد للصحة والدقة والموضوعية ، بسبب عدم فهمهم وإحاطتهم لعقائد المسلمين، ذلك لعدة عوامل أهمها العامل الديني واللغوي وتحفظ المسلمين من التعامل مع الأجانب.[1]

من أهم ما صادفه الرحالة أثناء تجوالهم في الجزائر أجواء صيام رمضان ، حيث جاءهم من الغريب أن يمتنع المسلمون عن الشرب والأكل أثناء اليوم طيلة شهر كامل ، بالرغم من الأعمال المنهكة التي يقومون بها ، خصوصا الطبقة الدنيا (الأهالي) ، حتى ظهور قمر الشهر التالي ، أين يأمر الداي بإطلاق المدافع كدليل العيد ، فقد وصف "هابنسترايت" أجواء صبيحة اليوم الأول :" أين يذهب الناس إلى إلقاء السلام وتقديم التهنئة للداي الذي يلبس جلد النمر ،وتوضع أمامه مائدة عليها وجبة الغداء في أطباق من الفخار".[2]

يتفق معظم الملاحظين من الرحالة (لوجي دوتاسي) بأنه كان يوجد في أوائل القرن الثامن عشر ، عشرة مساجد كبرى ، وحوالي خمسين مسجدا صغيرا تحت إشراف كثير من الموظفين[3]، من أهم المساجد في مدينة الجزائر مسجد جامع السلطان إذ ذكر بعدة أسماء منها "جامع ابن السلطان" ، " جامع عين السلطان" ، "جامع القهوة الكبيرة" وهناك أيضا "جامع المرابطة الزرزورة" الذي يطلق عليه"مسجد الرابطة".[4]

أما الأب "دان" فقدر عدد المساجد بمائة ، معظمها من الحجم الصغير إضافة إلى وجود الزوايا التي يقيم بها المرابطون – يفسرون الدين بطريقتهم الخاصة–[5] . فمن أهم الزوايا[6] في مدينة الجزائر نذكر منها زاوية"سيدي الجودي"، وغيرها من الزوايا التي يزورها الأهالي ، فيطلبون الشفاء من المرابطين والأولياء الصالحين المدفونين بها الذين

---

(1) محمد أوجرتني ، المرجع السابق ، ص101.

(2) هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص ص48، 49.

(3) جون–ب–وولف ، المرجع السابق ، ص ص153، 154.

(4) مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية ، دار الأمة ، الجزائر 2010، ص ص58–64.

(5) جون–ب–وولف ، المرجع السابق ، ص 153.

(6) تتكون الزوايا من مبنى فيه ضريح الولي المسمى به ومقبرة عامة ومسجد صغير .أنظر : مصطفى بن حموش ، المرجع السابق ، ص57.

يقدرونهم، بل يعتبرونهم كقديسين، حيث يضعون كمية من اللحم على أضرحتهم، فيعتقدون أنهم يطعمونهم رغم أنهم موتى، فإذا أكلت الحيوانات اللحم زال الألم عن المريض وشفي. (1)

في حين يضيف "بانانتي" أن السكان يؤمنون بالغيب هذا ما دفعهم إلى عدم الاكتراث بالمستقبل فإذا وقع شيء لأحد أو مسته مصيبة فإنه لا يكترث ولا يكتفي سوى بقوله "كان يجب أن يقع مقدر". (2)

هذا ما يعتبر تناقضا كبيرا ، فكيف يؤمنون بالقضاء والقدر وهم يعتقدون بالبدع والخرافات وعبادة الأضرحة والأولياء الصالحين ! .

فهل هذا التناقض موجود حقا في طبائع المجتمع الجزائري بمختلف فئاته دون استثناء ؟ على حد ما قاله الرحالة !أم هو ناتج من عدم صدق الرحالة وتعميمهم في تشويه صورة المجتمع الجزائري ؟

وفي الأخير يمكن القول أن الكتابات الأوروبية تختلف من رحالة إلى آخر حسب الهدف المنشود وللتغلب على إشكالية الموضوعية وتجاوز التناقض الموجود يتطلب التسلح بالمنهج النقدي والأسلوب التحليلي في التعامل مع هذه الكتابات والتوجه في نفس الوقت إلى البحث عما ظل بعيدا عن أيدي الباحثين من الكتابات الأوروبية الأكثر موضوعية وحيادًا.

---

(1) Le père Dan, op.cit,pp288-290.

(2) محمد أوحرتني ، المرجع السابق ، ص102.

الفصل الثالث :

نماذج عن رحلات المغاربة للجزائر العثمانية

المبحث الأول : صحراء الجزائر (المغرب الأوسط) في رحلة العياشي

المبحث الثاني : الحياة العلمية لمدينة الجزائر في رحلة ابن زاكور.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية لأهل مدينة الجزائر في رحلة ابن حمادوش

بعد رصد مجموعة من الرحالة الأوروبيين وأرائهم ونظرتهم لجزائر العثمانية في القرنين 17 و18 م في فصول البحث الأولى جاء دور الرحالة المغاربة الذين عدوا قلة مقارنة بالرحالة الغربيين، فقد اخترت ثلاثة رحالة مغاربة اختلفت كتاباتهم حول الجزائر في تلك الفترة حسب الأماكن التي زاروها والظروف التي عاشوها، ثم ميولاتهم التي قادتهم للكتابة.

فالعياشي كتب عن الصحراء (صحراء المغرب الأوسط)، وكان خير واصفا لها في مختلف الجوانب الطبيعية السياسية، الثقافية، ثم ابن زاكور الذي رصد الحياة العلمية لمدينة الجزائر، وابن حمادوش الذي تفنن في الحديث عن الحياة الاجتماعية، من عادات وتقاليد أهل مدينة الجزائر، (وإن كانت رحلته تمس بعض المناحي السياسية والثقافية).

(الجدير بالذكر أن معظم الرحالة المغاربة خصوا رحلتهم لمدينة الجزائر أكثر على بقية المدن الأخرى).

إذن نرصد فيما يلي رحلات هؤلاء للجزائر العثمانية :

المبحث الأول: صحراء الجزائر (المغرب الأوسط) في رحلة العياشي.

إن الرحالة العياشي من أدرى الناس بصحراء المغرب الأوسط لأنه حج ثلاث مرات، لذلك اعتبر أفضل من وصف الصحراء في هذه الفترة.[1]

فمن أهم المعطيات التي وردت في رحلته المخصصة للجزائر خلال الفترة التي عاشها (ق17م)، تضاريس الصحراء التي اتسمت بالتنوع، فمنها السهل[2]، الحماد[3] والجبال والرمال الكثيفة[4] التي شبهها بالسيول والجبال« رمالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها، قاسيتها منها شدة، ولقيت الإبل أضعاف ما لقيناه وعلمنا عند ذلك حسن مبالغة القائل: اللهم صلي على سيدنا محمد عدد الرمال».[5]

وقد أكثر العياشي في رحلته بوصف هذه الرمال والتضاريس لانبهاره فيها فقال : « ومنها السهل المسترسل ومنها الحماد والجبال ومنها الأرض الحرشة الوعرة ومنها الرمال الكثيفة التي يحار فيها النظر ، أرض لا يهتدى فيها إلا

---

[1] مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص26.

[2] **السهل:** هي مساحات فسيحة من الأراضي المستوية التي لا تعلو كثيرا عن مستوى سطح البحر وتختلف سهول الصحراء بأنها مسترسلة .أنظر فتحي عبد العزيز أبو راضي ، جغرافية التضاريس، ط1، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005 ، ص513.

[3] **الحماد:** أرض يابسة ومرتفعة .أنظر: محمد حمدي ، مرشد الطلاب، دار ابن رشد، قسنطينة، 2002 ، ص264.

[4] مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص26.

[5] العياشي، المصدر السابق ، ص107.

من مارسها ، ولا يهم المرء فيها إلا نفسه ، ولا يتشعب في شعابها إلا حوافق الرياح ، ولا يجترى على قطعها إلا ذو خف وجناح ، بلد كاد الطعام يكون به دواء" .

فمن الغرائب التي ذكرها في رحلته ووضعها تحت اسم "غريبة" أنه وجد في تلك الرمال أشجار كثيرة لها زهر أبيض من رآه أو شمّ رائحته كأنه ياسمين في شكله ولونه وريحه.[1]

لم يقتصر العياشي على ذكر التضاريس فقط ، بل ذكر أخبار المياه في الصحراء التي أخذت عناية فائقة في رحلته فذكر أماكن الماء وكيفية استخراجه وتوزيعه ، فمن أهمها الوديان : "...وهي كثيرة المياه في الشتاء قليلتها في الصيف وأشهرها : وادي قير[2] المنحدر من جبل تاندرارة وهو واد كبير فسيح ملتف الأشجار قليل الأحجار ، كبير المرعى،...تجمع إليه سيول من المسافات البعيدة...عليه قرى ومزارع ...ويمد إلى ناحية الصحراء".[3]

إضافة إلى هذا قدّم العياشي قائمة مفصلة للمجاري، ذات المياه العذبة ، كما وقف على أساليب حفر الآبار في ورقلة [4] واستخراج عيون الماء منها، حيث كانوا يحفرون بئرًا بنحو خمسين مترًا ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه ، فيفيض الماء ويطلع بسرعة إلى فم البئر ويصير بذلك عينًا .[5]

ولم يكتف العياشي في رحلته بذكر طبيعة الصحراء بل أورد مجموعة من الأخبار والمعلومات عن الحياة السياسية فيها وسكانها واقتصادها، ما ساعد على معرفة أوضاع الجنوب الجزائري في القرن 17م، سياسيا، اقتصاديا وثقافيا.

أما عن الحياة السياسية فيظهر من رحلته أن أجزاء كثيرة من البلاد كانت تحت تصرف أمراء محليين ، بمعنى لا تخضع للوجود العثماني.[6]

لكن بناء على معلوماته الواردة في رحلته، فإن الملاحظ أن المد التركي قد وصل في بعض الأحيان إلى مناطق من الجنوب خصوصا بسكرة التي تضررت في ذلك العهد لتحالف الترك عليها وعساكر البدو "...يستولي عليها

---

[1] العياشي ، المصدر السابق : ص ص80-111.

[2] وادي قير: واد ينحدر من جبال الأطلس جبال تاندرارة ويجري نحو الجنوب إلى أن ينصب في وادي مسعود .أنظر: مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ص66.

[3] العياشي : المصدر السابق، ص 111.

[4] من أهم مدن الجنوب الجزائري وردت باسم "واركلا" في رحلة العياشي ، تبعد عن المنيعة بمسيرة خمسة أيام ، كانت مقسمة في تلك الفترة إلى ثلاثة أعراش:بنو وافين(واجين) ، بنو إبراهيم ، بنو سيسين .أنظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج2، المرجع السابق ، ص256.

[5] العياشي ، المصدر السابق ، ص118.

[6] مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص24.

هؤلاء تارة وأولئك تارة إلى أن بنى الترك عليها حصنا حصينا على رأس الماء فتملكوا البلاد وضرّوا بها حتى أشرفت على الخراب".[1]

إلى جانب هذه الملاحظات ذات الطابع السياسي، أورد العياشي أخبار السكان وهم صنفان حسب رحلته: حضر وبدو.

حضر يعيشون بمدن الصحراء (مثل غرداية ، الأغواط ، ورقلة ، توقرت ، بسكرة ، تيميمون وغيرها) ، وبدو رحل متنقلون يجرون وراء الماء والعشب ، ويعيشون بتربية المواشي والصيد أحيانا .[2]

وقد تحدث العياشي عن العداء الذي كان بين السكان (الأعراش) إذ أنه عند وصوله إلى أحد نزلاته إلى منطقة "قرية الكراكدّ" أخبره أهلها بغارة العمور عليها ، كما سمع بهجوم "عرب توات" على قبائل "ابن سعيد" فطمسوا ما في طريقهم من الماء انتقاما لهم – معظم مناطق الجنوب كانت في تلك الفترة تشكّل قبائل وأعراش تحمل لبعضها العداء لأسباب مختلفة– .[3]

لم يغفل كذلك على الجانب الاقتصادي ، فالصحراء في عهده عبارة عن سوق مكتظة بالقوافل المتنقلة في كل الاتجاهات محملة بالبضائع والسلع ، فمن أهم الأسواق التي وصفها العياشي سوق "تسابت" [4] في إقليم توات عندما مر بها عام في طريقه لتأدية الحج.[5]

فيقول فيها : " وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر ، وبها من التمر أنواع كثيرة ، ووجدنا التمر فيها رخيصا".[6]

---

[1] العياشي ، المصدر السابق ، ص50.

[2] مولاي بالخميسي ، المرجع السابق ، ص27.

[3] العياشي ، المصدر السابق ، ص107.

[4] تسابت : ناحية جنوب دغامشة على نحو 30 كلم من وادي الساورة ، وهي مجموعة من القصور .أنظر: المصدر نفسه، ص79.

[5] توات : واحة كبيرة بالجنوب يحدها شمالا وادي الساورة وجنوبا تزروف وغربا عرق أركشاش ، شرق أمغيار في الجنوب الشرقي والمقارة وفي الشرق الشمالي المنيعة ، تنقسم إلى ثلاثة مناطق: أولا : تديكلت شرق، عين صالح ، ثانيا: المنطقة الوسط من عربان الرأس (تسابت إلى رقان) ، ثالثا: منطقة قرارة (تيميمون) إلى تبلكوزة.أنظر: محمد باي بلعالم ، رحلات جزائرية (4) الرحلة العلمية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ،مجلد1، المعرفة الدولية ، الجزائر ، 2011 ، ص57.

[6] العياشي ، المصدر السابق ، ص79.

كما أفاد أن الذهب أرخص من سعر القوت من الزرع والتمر في هذا الإقليم، فكانت مجمع القوافل الآتية من "تنبكت" [1] محملة بمختلف البضائع والسلع: كالخيل والملابس والحرير.[2]

هذا ما يبين أن المنطقة تتمتع بنشاط اقتصادي جيد وسوق حافل، إضافة إلى سوقي مدينتي "تمنطيط وأدرار" اللذان اعتبرا من أنشط أسواق المنطقة في هذه الفترة.[3]

ومنتوجات الصحراء لا تنحصر في التمر وحده، فبسكرة مليئة بالزيتون والحناء، الفواكه، الخضر، البقول اللحوم [4]، السمن، والقمح وغيرها حتى فضلها الرحالة المغاربة على بقية أمصار المغرب.[5]

أما فيما يخص الحياة الثقافية، فقد ازدهرت الصحراء بسلسلة من الزوايا، حيث ذكر العياشي ما اشتهر منها:مثل "زاويه سيدي أحمد بن موسى" و "سيدي عبد الله بن طمطم"[6] و "عمر بن محمد صالح الأنصاري الخزرجي" [7] و "زاوية الأحضري" التي اعتبرت دور علم وتعليم، ومركزا للإشعاع الفكري، يضاف إلى هذه الزوايا أضرحة العلماء والأولياء الصالحين التي أصبحت مزارات.[8]

إضافة إلى هذا قدم العياشي عرضا وافيا للعلوم الإسلامية في الصحراء، وقد اعترف له مؤرخون بهذه البادرة[9]

---

[1] تنبكت: عاصمة السودان العلمية، اشتهرت بكثرة المكاتب والعلماء .أنظر: العياشي، المصدر السابق، ص80.

[2] المصدر نفسه، ص80.

[3] فرج محمود، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص ص64، 65.

[4] يقول أحمد بن الحسن الوزان :"إن سعر اللحم مرتفع بتيقورارين –تقع في الجزء الشمالي الشرقي لواحة توات –لعدم وجود الماشية وذلك يرجع للجفاف في البلاد ويأكل الناس لحم الإبل يشتريها السكان من الأعراب وهذه الإبل هي تلك التي عادت غير قادرة على السير. أنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق ص436.

[5] مولاي بالحميسي، المرجع السابق ، ص29.

[6] عبد الله بن طمطم ، صاحب زاوية بتوات، صاحب أحوال ومقامات. أنظر: العياشي، المصدر السابق، ص80.

[7] عمر بن محمد صالح الأنصاري الخزرجي الشامي، صاحب زاوية" بلاد أوكرت" من القرى الواقعة بتوات من أقطاب التصوف ،توفي عام 1008هـ/1599م .أنظر المصدر نفسه، ص 12.

[8] المصدر نفسه ، ص ص81، 83.

[9] جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن ترجمة العياشي مايلي :" cette relation de voyage est un ouivrage capital pour connaître le chemin que suivaient les caravanes allant du Maghreb et à la Mecque....» EI,T ,1,818. أنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق ، ص30.

حيث وجد خزائن من الكتب الثمينة داخل مساجد الصحراء لمجموعة من العلماء منهم بهرام[1] وحواشي علي الصغري.[2]

فمن بين ما ذكره تعليم وقراءة أهالي الصحراء موطأ مالك ، صحيح البخاري، وبعض تفاسير القرآن وصحيح مسلم وسنن أبي دواد الترميذي[3]، نوازل البروزلي.[4]

كما انتبه العياشي لبعض العادات عند الأهالي، ووصفها بالغرابة، فأهل ورقلة يدخلون المسجد ، فيتيممون دون أعذار (فقدان الماء) ، وثياب موتاهم ترمى خارج المدينة ولو كانت جديدة.[5]

ومعظم مدن الصحراء تحتفل بعيد الفطر وسط دوي البارود حتى في المصلى ، لهذا يفيد العياشي بأن عاداتهم وتقاليدهم غريبة ، حتى أن معظم نص رحلة العياشي عنون فقراته المطولة بـــ"غريبة" أو "غريبة أخرى" لكثرة تعجبه لما رأى.

إلا أن هذه العادات تختلف من منطقة إلى أخرى وما يجمع بين هذه القبائل العديدة هو الكرم والإسلام فقط.[6]

لقد حرص العياشي على تدوين كل ما صدفه في طريقه إلى الصحراء من ضالات وبدع وممارسات وتضاريس ورمال وغيرها ، مما يعطي رحلته ميزة وخصوصية باعتبارها رحلة موسوعية يجد كل باحث فيها ضالته من أخبار الصحراء في جميع المناحي السياسية ، الطبيعية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية والدينية.

---

(1) بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري، حامل لواء المذهب المالكي بمصر له تآليف منها شروح على المختصر، وشرح مختصر بن الحاجب توفي 805هـــ/1402م. أنظر: ابن مخلوف، شجرة النور التركية ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، 1999 ، ص345.

(2) محمد بن يوسف بن عمر السنوسي عالم تلمسان، من تصانيفه العقيدة الصغرى والعقيدة الكبرى ، توفي سنة 895هـــ/1489م. أنظر: العياشي، المصدر السابق ص117.

(3) مختار حساني، المرجع السابق ، ص80.

(4) أبو القاسم بن أحمد البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي أو البروزلي فقيه ومفتي له ديوان كبير في الفقه له "الحاوي في النوازل" توفي بين سنة 841هـــ/1437م وسنة 844هـــ. أنظر: ابن مخلوف، المرجع السابق ، ص352.

(5) مولاي بالحميسي، المرجع السابق ، ص31.

(6) العياشي ، المصدر السابق ، ص83.

المبحث الثاني : الحياة العلمية لمدينة الجزائر في رحلة ابن زاكور.

إذا كانت انطباعات الرحالة والقناصل الغربيون على الثقافة في الجزائر العثمانية تتسم بأوصاف قاسية ، صور قبيحة وتصرفات منافية بعيدة كل البعد عن الحضارة ، حتى أن بعضهم ينفي وجودها ؛ فإن هذا الانطباع ينفيه "ابن زاكور" إذ يوجد في رحلته صور حية ومفصلة للحياة العلمية التي لم يصل إلى تحليلها ، و لم يقدر على وصفها غيره من الذين زاروا الجزائر وأقاموا بها في وقته.[1]

إذ نال إعجاب أهل عصره من شيوخ وتلاميذ ، فقد وصفه الشيخ "أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمان المانجلاتي" [2] بـ "...الشاعر، الأديب ، الحاذق اللبيب ..."

وقال عنه العلامة الأديب المؤرخ "محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن الشريف العلمي الحسني الإدريسي"

" ...الأديب أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور ، وحيد البلاغة ، فريد الصياغة ، الذي أرسخ في أرض الفصاحة أقدامه فتصرف في الإنشاء ، وعطف إنشائه على الإخبار، وقارع الرجال في ميادين الإرتحال... " .[3]

أما عن وصف ابن زاكور لمدينة الجزائر فقال : "...بدخول مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر، وحلول معانيها النواضر، التي غص ببهجتها كل عدو كافر.فلذلك يتربصون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق

---

[1] مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص ص31، 32.

[2] عالم وفقيه كبير ، أصولي ، منطقي ، مشارك في كثير من العلوم ، من أهل بجاية انتقل منها بعد سقوطها إلى مدينة الجزائر ، فكان من كبار علمائها ، رحل إلى المغرب وأخذ عنه ، وأثنى عليه ابن زاكور الفاسي وقال : أجازني بالجزائر وتطوان ، مات بمدينة الجزائر 1104هـ/1693م .أنظر: عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر ، ط2، مؤسسة نويهض للتأليف ، بيروت ، 1980 ، ص318.

[3] رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان – تحقيق مصطفى ضيف ، محمود بوكراع ، ،طبعة خاصة ، المعرفة الدولية ، الجزائر ، ص21.

لم تعهد في الزمن الغابر [1]، أبرأني من غليلي ووجدي ما عاينته من روائها العسجدي[2]، وبحرها اللازوردي[3].. ".

إن أهم ما اتسمت به رحلته هو ذكر نخبة العلماء من المشايخ التي كانت في إيالة الجزائر أنذاك سواء من المشارقة أو المغاربة ، في مقدمتهم شيخه العلامة "أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري" الذي مدحه "...فمن أقبسني بكلتا يديه ،وأجاز لي رواية ما لديه ، العالم الأشهر ، والحبر الأكبر ، حائز الشرفين : العرضيّ والذاتيّ ، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي... ".

وقد وردت في رحلته قصائد مدح له من بين أبياتها:

حي علي الأنس أن طيف الهموم سري وسلّ نفسك وابهج بهج من صبرا

قد كنت قد ما أحسن للنوى ضـــرار فاليوم حين اكتسيت المجد لا ضررا

بقيـــة الســـلف الماضـــي ونخبـــته لكن محاسنه أزرت بمن غبـــرا [4]

---

[1] تعرضت مدينة الجزائر ما بين 1510 و 1830م لغارات عديدة شنها الأوروبيون من بينها :

سنة 1516م أيام "عروج" غارة إسبانية بقيادة "دي فارا"

سنة 1518م أيام "خير الدين" غارة إسبانية بقيادة "دي مونكاد"

سنة 1541م أيام "حسن أغا" غارة إسبانية بقيادة"شارلكان"

سنة 1622م غارة انجليزية وكذلك سنة 1665م ، 1672م.

سنة 1665م غارة فرنسية بقيادة"بوفور".

سنة 1669م غارة فرنسية بقيادة"شوفالي بول".

سنة 1672م غارة هولندية بقيادة" الأميرال روبتر".

سنة 1682م و1683م غارة أخرى فرنسية بقيادة "دكيس".

سنة 1688م غارة فرنسية أخرى بقيادة "ديستري".

سنة 1770م غارة دانماركية.

سنة 1775م و1783م غارات إسبانية. أنظر: عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص356.

كذلك أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص ص127، 135.

[2] العسجد: الذهب وقيل هو اسم جامع يطلق على الجوهر كله كالدر والياقوت. أنظر: محمد حمدي ، المرجع السابق ، ص395.

[3] اللازوردي: معدن مشهور يتولد بجبال أرمينيا وفارس أجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة يتخذ للحلي. أنظر: المرجع نفسه ص413.

[4] رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان – المرجع السابق ، ص ص42، 43.

كما تحدث ابن زاكور عن إجازته التي منحها له شيخه "المانجلاتي" التي اعتبرت آنذاك أنفع ذخيرة وأنجح سلاح التي منحت له عام 1094هـ/ 1682م بعد اجتماعه بشيخه وقراءته "جمع الجوامع" بإحضار شراحة "المحلي" [1] (هي بمثابة مذكرة أو أطروحة تخرج لنيل الشهادة (الإجازة) في وقتنا الحالي).

وبعد شيخه المانجلاتي ذكر الشيخ "علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري" [2] الذي أخذ عنه المنطق والبيان والحديث ، الفقه والتصوف ، قراءة مختصر "الشيخ النسوسي" [3] كذلك إضافة الى كتاب الشفا "للقاضي عياض[4] مع البردة للإمام البوصيري" [5] في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والسينية [6]

وقد وردت في رحلته قصائد مدح له من بين أبياتها:

حي علي الأنس أن طيف الهموم سري وسلّ نفسك وافهج فهج من صبرا

قد كتبت قد ما أحسن للنوى ضـــرار فاليوم حين اكتسيت المجد لا ضررا

ومن الشيوخ الذين ذكرهم كذلك : هناك العلامة "الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسن الجزائري" أحد شيوخ المانجلاتي الذي أورد ابن زاكور قصيدة في مدحه هو كذلك :

البحر قد أبدى سنى نضرته فهامت الأعين في بهجتـــه.

كأنه والشمس قد نقضت شعاعهـــا الأنضر في لجته

---

[1] هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي المصري، الشافعي جلال الدين توفي سنة 864هـ/1459م، اعتبر من كبار العلماء والفقهاء في عصره.أنظر: ترجمته في عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ،تراجم مصنفي ، الكتب العربية ، ج8، ط1، مؤسسة الرسالة، 1993 ، ص312.

[2] هو علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن يحي بن أبي يحي بن أحمد بن السراج أبو الحسن الأنصاري السجلماسي الجزائري ، عالم فقيه لغوي ، ومنطقي توفي سنة 1057هـ/1647م .أنظر: رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان –، المرجع السابق ، ص47.

[3] مختصر في المنطق"تأليف محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله النسوسي المالكي التلمساني، اشتهر نسبه إلى قبيلة معروفة بالمغرب من قبل أبيه الحسن نسبة إلى الحسن بن أبي طالب، توفي سنة 895هـ/1489م. أنظر: أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص237.

[4] أبو الفضل عياض بن موسى اليحبي المالكي ، فقيه ومؤرخ وأديب وشاعر ولد بسبتة سنة 476هـ/1083م، وتوفي بمراكش سنة 544هـ/1149م له كتاب : الشفا بتعريف حقوق المصطفى. أنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق ، ص122.

[5] محمد بن سعيد شرف الدين أبي عبد الله الدلاصي الوصيري ولد في بوصير، توفي سنة 694هـ/1294م، بردته مسماة:"الكواكب الدرية في مدح خير البرية" .أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،ج2، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص1331.

[6] هي قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في 92بيت من نظم حسن بن أبي القاسم بن باديس أبو علي المالكي .أنظر: رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان –، المرجع السابق ، ص47.

وأحمر يشبـــه خدا الذي أنحلـــني شوقـــي إلى رؤيتـــه
ولا تعذبني بنـــار الجفـــا يا من حياة الصب في قبضته [1]

كما تتلمذ ابن زاكور على يد " الشيخ سعيد بن إبراهيم الجزائري" [2] (قدورة) الذي نال حظا وافرا من الذكر والمدح في رحلته كبقية الشيوخ ، وقد منح لابن زاكور إجازة كذلك باعتباره تلميذه.[3]

بذكر هذه الإجازات أردت أن أقدم نموذج لأحد الإجازات لمعرفة نص الإجازة ومحتواها وهيكلها كما وجدت في الرحلة.

[إجازة أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري]

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما، قد أحببت الفقيه النبيل الأصيل، المفتن ذخائر نفيس العلوم، ونفيس ذخائر الفهوم بالعدو والأصيل ، المحمل لخصال الكمالات كل التحصيل، حائز قصبات السبق في ميادين البلاغة على الإجمال والتفصيل ، العلامة التحرير السيد عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بإبن زاكور، كان الله لنا وله دنيا وأخري، وأجزته إجازة مطلقة تامة عامة، على شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءاتي معقولا ومنقولا توحيدا ونحوا، فليحدث بذلك أن أحب عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين نفعين الله وإياه بهم أمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله أجمعين وكتب العبد الفقير إلى الله شاكره دائما على ما أسداه وأولاه: محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، أوائل رجب سنة أربع وتسعين بعد الألف [1094هـ/1682] انتهت.[4]

تتميز هذه الإجازات بعرض واسع للعلوم الإسلامية وكشف للكتب التي اشتهرت في ذلك الوقت ، كما أن هيكل نص الإجازات معظمها هيكل واحد، فيبدأ الأستاذ المجيز بالحمد والصلاة والدعاء وقد تطول الديباجة أو

---

[1] رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان – المرجع السابق ، ص ص49-51.

[2] هو محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة ، أبو عبد الله من أسرة قدورة أحد الأسرات الجزائرية التي أنجبت عددا من العلماء والأدباء اشتهروا بالافتاء والتدريس ولد سنة 1043هـ/1625م ، ولي الإفتاء بالجامع الأعظم (جامع العاصمة) سنة 1104هـ/1693م ، توفي سنة 1066هـ/1655م ، اشتهر بفصاحة اللسان وتصحيح أسانيد الأخبار .أنظر: أبو القاسم محمد الحفناوي ،تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 ، تقديم محمد رؤوف القاضي الحسني ، موفم للنشر 1991ص66.

[3] رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان – المرجع السابق ، ص69.

[4] المرجع نفسه، ص ص 69-70.

تقصر، ثم ينتقل الأستاذ إلى ذكر المحصل على الإجازة ، فيصف مواهبه واجتهاده والمدة التي قضاها بجانبه ، والنتيجة في النهاية هي غزارة المعارف والإذن له بأن ينشرها وأن يروى عنه.[1]

ورد كذلك ذكر "أبي عبد الله ابن خليفة "، شيخ المشايخ، علامة ورحالة صاحب علم[2]، وله في تحقيق العلوم نصب كبير ، برع في البيان وتحصيل العلوم ، حمل راية البراعة ، ففاق الجميع بأولوية محسنات البديع.[3]

❖ **أبيات لابن زاكور في مدح الشيخ ابن خليفة:**

ما للبيـــان خليفـــة إلا الرضى ابـــن خليفـــة.

بين لـــنا مقتضـــاه يـــا ربـــه وحلـــيفـــة.

بقيت فذا مفيـــدا غـــر المعانـــي الشريفـــة.

يا بحر علم طمى في برود حلـــم كثيفـــة [4]

من كل هذا يمكن استنتاج ما يلي :

- ✓ تمكننا رحلة ابن زاكور من معرفة من كان في الطليعة من المشايخ والعلماء آنذاك.
- ✓ تعرفنا هذه الرحلة على قائمة الكتب التي كانت تدرس أيام ابن زاكور التي عرفت رواجا كبيرا من بينها التي ذكرت في هذا المبحث "مختصر في المنطق" ، قراءة القاضي عياض "بردة البوصري" ، "عقائد السنوسي" وغيرها ، التي تمثل معظم جوانب الثقافة الإسلامية وقسمًا كبيرًا من العلوم العقلية والنقلية من منطق وحساب وصرف وتوحيد حديث تفسير وفقه.[5]
  - نال ابن زاكور من معظم شيوخه الإجازات التي كانت أفضل مثال للكفاءة والتأهيل.
  - تمكننا من رصد طريقة التدريس التي يلازم الطالب فيها شيوخه لسنوات طويلة أو شهورا عديدة يحضر جلسات ويشارك في الحلقات.[6]

---

[1] مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص34.

[2] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج12، ط11، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1996 ، ص140.

[3] رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء آكابر الأعيان – المرجع السابق، ص72.

[4] المرجع نفسه، ص73.

[5] مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص ص32، 33.

[6] لازم المناخلاتي السجلاماسي أربعة عشرة عاما، كما تفرغ الطلبة لدراسة جمع الجوامع أربعة أشهر. أنظر المرجع نفسه، ص 33.

إذن هذا ما بين آن الجزائر في هذه الفترة عاشت جوًا ثقافيا وعلميا منقطع النظير، اختلفت أصنافه وأساليبه من علوم إسلامية ولغوية وغيرها من العلوم التي برع في وصفها وتقيدها ابن زاكور ليدل بذلك على وجود كيان الثقافة العربية الإسلامية، واستمرارية العروبة في هذه البلاد، ونفي وإبطال مزاعم بعض الأوروبيين بأن التعليم والثقافة لا وجود لها في الجزائر العثمانية.

المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية لأهل مدينة الجزائر في رحلة ابن حمادوش.

بعد رصد مقتطفات من رحلة العياشي وابن زاكور تأتي رحلة ابن حمادوش الجزائري التي اعتبرت جزءًا هاما من تراث الجزائر العربي الإسلامي، حيث امتازت عن غيرها من الرحلات بالأسلوب السهل البسيط.

إلا أن المنهج الذي سار عليه ابن حمادوش جعل عمله غير منسجم وغير متماسك، لأن رحلته تفتقد للترتيب الزمني، فكان يحشو كل سنة بأخبار، ووقائع تتعلق بشخصه في الغالب، أو بذكر أسماء ولاّة الجزائر[1] وأسماء سلاطين آل عثمان، لهذا فرحلته تضم أخبار وتطورات متنوعة: سياسية[2]، ثقافية[3]، اقتصادية[4]، اجتماعية.[5]

فارتأيت الأخذ بالأخبار الاجتماعية (من عادات، تقاليد، عقود زواج وغيرها)، لأنه أفضل من تكلم على هذه الجوانب وإن كانت مختصرة بعض الشيء.

تحتوي رحلته على مادة ثرية ومتميزة تفيد الباحث في عادات وتقاليد أهل الجزائر ، فقد ذكر ابن حمادوش صيغة الصلوات والأدعية المذكورة عند ختم صحيح البخاري، وهي "اللهم صلي أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، عدد معلوماتك ومداد كلماتك، كلما ذكرك وذكره الذاكرين وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون". وأثناء ذلك يرش على الحاضرين ماء الورد.[6]

كما ذكر عاداتهم ليلة القدر ، حيث كان متولي الجامع الكبير يفرغ ليلة القدر قنطارا أو أكثر من الشمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضراء ، ثم يطاف به بهذه الشموع في اتجاه دار المفتي أو الوكيل ، ومنها إلى دار الإمامة عبر الشوارع المزينة ، وهم يرفعون أصواتهم بالأناشيد الدينية ثم يعودون إلى الجامع من طريق أخرى ويرفعون أصواتهم

---

(1) أورد ابن حمادوش سبعين باشا من الولاة العثمانيين بالجزائر مبتدئا "بإسحاق باشا" سنة (915هـ/1509م) وآخرهم "إبراهيم باشا".أنظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1، المرجع السابق ، ص233.

(2) من أهمها رفض النصارى(دون تحديد من هم في الأغلب، يقصد الإسبان) قبول فدية المسلمين الذي كانوا أسرى عندهم ، وما رواه بشأن علاقة باشوات الجزائر بالسلطان العثماني أن الأخير أرسل مندوبا عنه إلى الجزائر ، فلم يرحب به المسؤولون- الاختيارية- و لم يستقبله فبات ليلته في المرسى ثم دخل المدينة وحده، ما يدل على أن السلطان في كثير من الأحيان يحاول فرض نفوذه فلا تطيعه أوحاق الجزائر .أنظر: عبد الرزاق ابن حمادوش : لسان المقال في النبأ عن النسب والخال ، تقديم وتعليق وتحقيق أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1983، ص ص126-233.

(3) لقد أطال ابن حمادوش الحديث عن العلماء الذين جالسهم وعن الكتب والمؤلفات خصوصا تأليفه منها : تأليف على الروزنامة ، تأليف في الأعشاب الجوهر المكنون وغيرها .أنظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1، المرجع السابق ، ص ص226-234.

(4) تعرض ابن حمادوش بكثرة للأسعار في أسواق الجزائر وارتفاعها وانخفاضها وعن السلع التي تباع فيها.أنظر: عبد الرزاق ابن حمادوش ، المصدر السابق ص224.

(5) المصدر نفسه، ص223.

(6) المصدر نفسه، ص126.

بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى أن يدخلوا المسجد فيشعلون تلك الشموع في قناديل أو قوارير ثم يحيون الليل كله إلى الفجر، فإذا قرب الفجر قرأوا ما تيسر من الفواتح ، ثم أعلموا الناس بالفجر ، وبصلاة الفجر يبدأ التسبيح.[1]

تحدث كذلك عن عادات أهل الجزائر في الاحتفال بالمولد النبوي كاستعمال قباب الشمع.[2]

وذكر ابن حمادوش عقود الزواج فأعطى نماذج منها نص عقد زواج المفتي "محمد ابن حسين" صهر المفتي سعيد قدورة سنة 1087هـ/1676م.

فمن خلالها يعرف نوع العملة السائدة ، ونوع الصداق ، وإمكانيات كل طبقة ، فيعرف منها الألبسة النسوية من قفاطين ، وقناطر الصوف ، أنواع المجوهرات وغيرها مما كان يقدم صداقا للزوجة حسب حالها الاجتماعي.[3]

هذا ما يجعل رحلة ابن حمادوش ذات قيمة تاريخية يعرف منها جوانب من الحياة الاجتماعية التي مازال يفتقدها الباحثون في تاريخ الجزائر في هذه الفترة ، بالرغم من ضعف المنهج الذي اتبعه وكثرة الحشو ، في انتظار الإطلاع على الأجزاء المفقودة منها.[4]

وفي الأخير لابد أن أوكد أن رحلات المغاربة للجزائر العثمانية مصدر غني ووثيق ذو فائدة تاريخية كبرى للمعلومات الغزيرة التي تشتمل على ملاحظات دقيقة ذو مصداقية كبيرة تتوفر على شروط منهجية من حيث المواصفات الموضوعية ، بحكم أن ليس للرحالة المغاربة أي داعي أو هدف للتزييف أو الكذب ، بل وصفوا الأمور كما هي دون أحكام متحيزة إلى أي جهة .

فكانت كتاباتهم أكثر اتزانا بالمقارنة مع نظرائهم الأوروبيين التي كانت أغلب كتاباتهم تنطلق من مفاهيم أوروبية متأثرة بالإيديولوجية الاستعمارية ، وإن كانت بعض رحلات المغاربة تفتقد للتسلسل الزمني والترتيب في بعض الأحيان لكونها ذو طابع رواتي فهي تقص لنا مشاهد يومية أو أسبوعية عاشها الرحالة ، مازلت في قيد التحقيق والمعالجة العلمية لكون أغلب هذه الرحلات عبارة عن مخطوطات ودراسة المخطوط ليس بالأمر الهين البسيط لتكون فيما بعد وثائق مهمة لا غنى عنها في كتابة تاريخ الجزائر العثماني.

---

[1] ذلك بإعادة "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " مئة مرة وفي هذه المدة يرشون ماء الورد ، حتى يعم الناس فيها ، ثم يسكتون ويشرع الإمام في الدعاء المعد لذلك .أنظر: أبو القاسم سعد الله ، مجموع رحلات ، رحلة ابن حمادوش ، طبعة خاصة ، المعرفة الدولية للنشر ، الجزائر ، 2011 ، ص126.

[2] عبد الرزاق ابن حمادوش ، المصدر السابق ، ص234.

[3] المصدر نفسه، ص ص 234-235.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص ص 234، 241.

الخاتمة

مرت الجزائر العثمانية بأحداث سياسية واجتماعية وثقافية متنوعة يمكن رصدها من خلال هذه الرحلات – الأوروبية والمغربية– التي رسمت وأعطت صورة حية عن حياة وواقع المجتمع الجزائري من دين وأخلاق وسياسة وثقافة حاولت توضيحها من خلال هذا الموضوع الذي خرجت منه بمجموعة من الاستنتاجات أهمها :

- تمثل الكتابات الأوروبية من مذكرات الرحالة وتقارير القناصل وحكايات البحارة وإفادات الجواسيس ، ورجال الدين بمختلف أهدافها وتباين اتجاهاتها وتضارب معلوماتها في بعض الأحيان مصدرا تاريخيا من الدرجة الأولى ، فهي لا تقل أهمية عن الكتابات المحلية (المغاربة) ، بل تصبح في غياب الوثائق الرسمية وشح المصادر المحلية مصدرا أساسيا لا يمكن أن يستغنى عنه أي باحث في دراسة الحياة السياسية ، الاجتماعية والثقافية.
- تعتبر الرحلات المغربية أكثر مصداقية وموضوعية وأمانا لأخذها كمصادر وثيقة ، إلا أن معلوماتها وأخبارها قليلة مقارنة بالرحلات الأوروبية التي تقدم معطيات قلما تجدها في هذه الرحلات لاسيما في المجال السياسي.
- إن الأخذ بالرحلات الأوروبية لكتابة تاريخ الجزائر العثماني يتطلب الدراسة الدقيقة –القراءة ما بين السطور– ودراستها حسب اتجاهات أصحابها ومواقفهم ودوافعهم ونظرتهم وحكمهم على الجزائر وعلى الوجود العثماني ، لأنها تمثل معايير نزاهة الرحالة.
- معظم كتابات رجال الدين عرفت بموقفها العدائي ونظرتهم المتحيزة دون التقليل من الأهمية العلمية لبعضها.
- الكثير من الرحلات مهدت الطريق وفتحت البوابة أمام الاستعمار الفرنسي للدخول إلى الجزائر عن طريق دراساتهم خصوصا الطبيعية التي كشفت الممرات والطرق.
- لم يكن للعلماء المستكشفين أي خلفيات معادية للوجود العثماني فهم لو يتأثروا بالمخططات الاستعمارية الهادفة للسيطرة على البحر المتوسط التي اعتبرت من أنزه الرحلات.
- تظهر هذه الرحلات مدى اهتمام الأوروبيين بعالم البحر المتوسط خصوصا "عروس البحر" في فترة الحكم العثماني – سيدة البحر المتوسط–.
- تقدم الرحلات الأوروبية والمغربية بمادتها الإخبارية ومعطياتها الثمينة صورة كاملة وواضحة للجزائر في العهد العثماني إلا أنه لابد من الإلتفاف حول المصادر العربية والبحث عنها من أجل التخلي عن نظرة بعض الغربيين المعادية للعروبة والإسلام في الجزائر.
- اقتصر الإنتاج الضخم للرحلات الأوروبية على بعض الجوانب دون الأخرى ، خصوصا الحديث عن القرصنة وحياة الأسرى النصارى.

- لازالت العديد من الرحلات غير مكتشفة إلى حد الآن بالرغم من أهميتها خصوصا رحلات المغاربة التي مازالت مخطوطات تنتظر التحقيق والدراسة.

ونأمل في الأخير أن تكون دراستي هذه فاتحة لدراسات أخرى ، وتمهيدا لها.

الملاحق

ملحق رقم **01**: خريطة توضح خط سير هابنسترايت بالوسط الجزائري

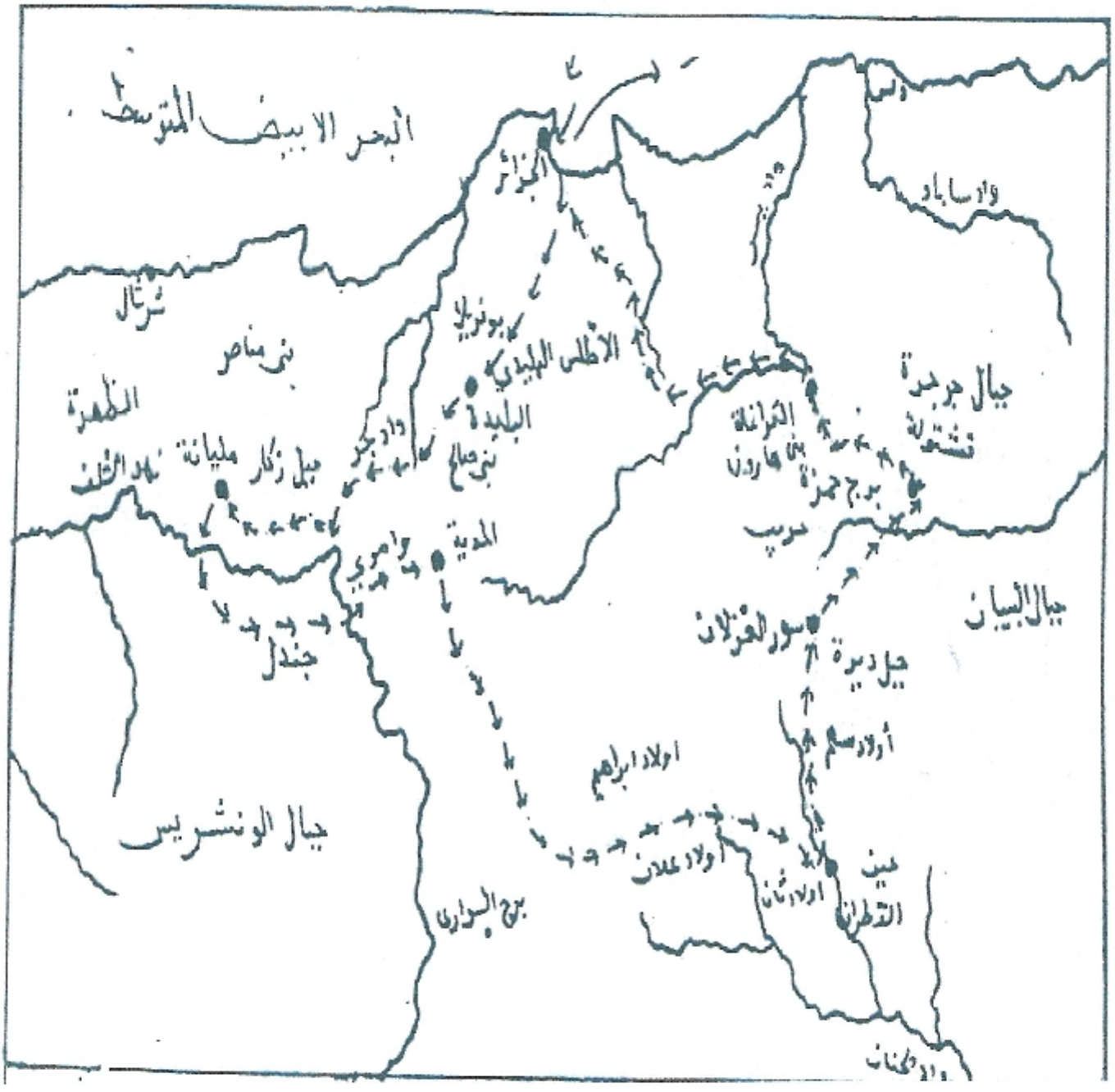

هابنسترايت، المصدر السابق. ص135.

ملحق رقم 02: خريطة توضح سير رحلة العياشي بالجنوب الجزائري (الصحراء)

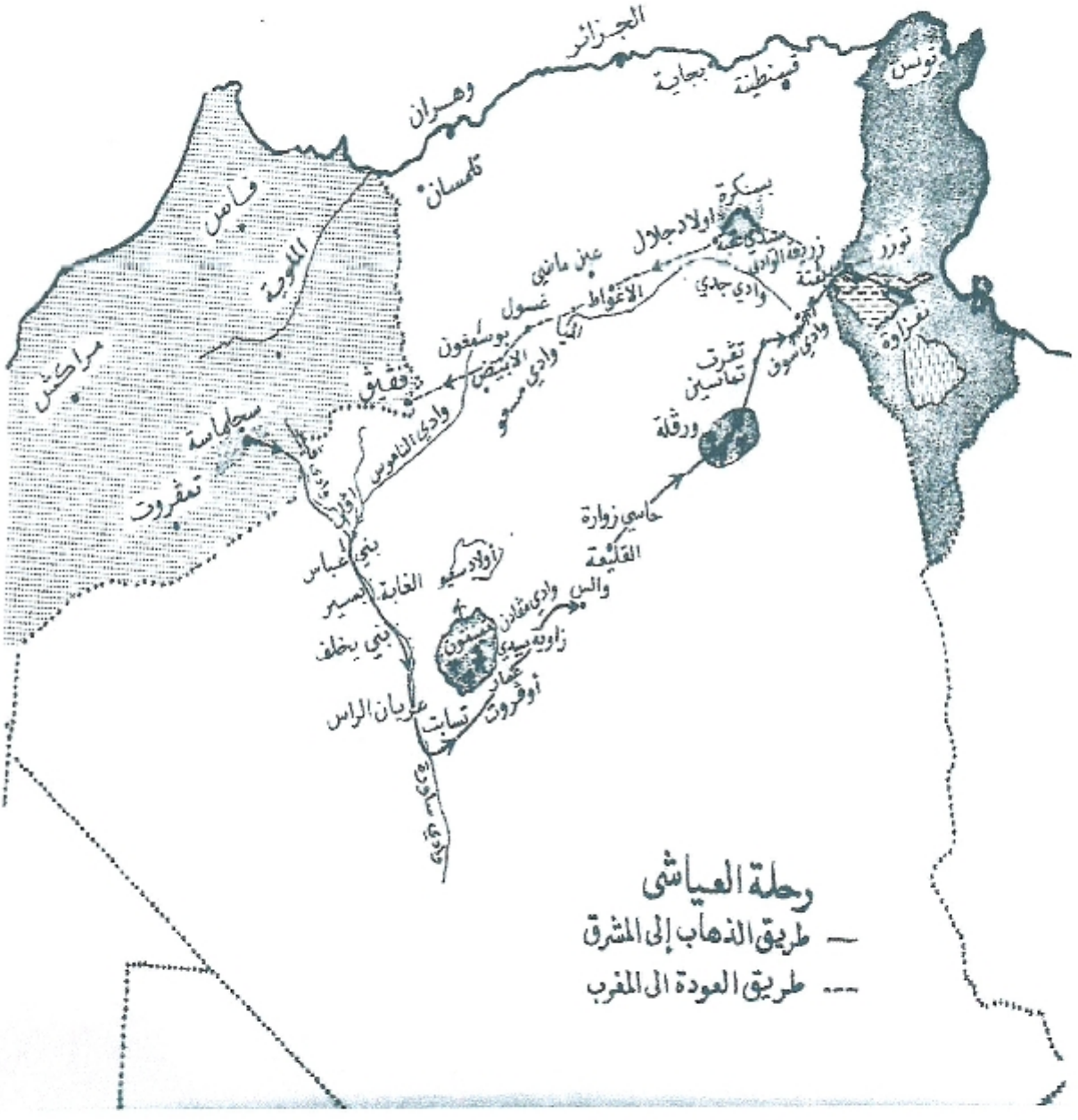

مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص95.

ملحق رقم 03: صفحة من رحلة العياشي

مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص99.

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام.

ثانيا: فهرس الأماكن والقبائل والبلدان.

ثالثا: فهرس المصادر البيبليوغرافية.

رابعا: فهرس الموضوعات.

فهـــرس الأعـــلام

-أ-

إبراهيم باشا 68

أحمد المنصور 18-36

أحمد بن موسى 60

الأخضري 60

اسحاق باشا 60

الأنواطي 68

إلياس 43

أندرهيل 35

-ب-

بانانتي 34- 44-53-55

البخاري 61- 68

البروزلي 61

ابن بطوطة 16

بكتاش ولي 45

بناني 29

بهرام 61

البوصيري 66

بوفور 63

بيدرونافارو 43

بايسونال 44- 46- 51

-ت-

تاسكا الإيطالي 28

التمقروني 18- 19

توماس شو 29- 46- 47- 50- 52- 53

توماس هيز 29

تيدنا 33 47 51

-ج-

جاك بيري 22

ابن جبير 16

جنسريق 42

جوستيان 42

جون أندري بايسونال 31

جون أرنست هاينسترايت 18- 25- 31- 42-

43- 46- 51- 54

جيمس ليندر كاثكارت 19- 32- 45- 50- 51

-ح-

أبي الحسن علي السعودي 15

حسين باي بوكيمية 30

حسين العطار 15

الحسين بن محمد الوزان الفاس 17- 39

أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمان المانجلاتي
62- 63- 64- 65
حقي أوزر تجارسيلي 25
ابن حمادوش 22- 37- 57- 68- 69
عبد الحميد الثاني. 37

-خ-

أبي عبد الله ابن خليفة 66
خير الدين باشا 25- 44
الأب خيمينيس 21- 29

-د-

دابر 35- 49
داراند 29
الأب دان 21- 29- 50
أبي داود الترمذي 61
دكيس 63
دنيس دوسولت 35
دهايدو 27- 31- 47
دوفارا 63
دولاكروا 47- 52
دونيكولاي 27
دي بريف 28
دي روكفيل 35
دي فونتان 32- 51
دي مونكاد 63
ديستري 63

-ر-

عبد الرحمان الجامعي. 39
عبد الرحمان ابن خلدون 15
عبد الرحمان ابن القاضي.36
رهباندر 33
روبتر 63
روبير كول 31

-ز-

ابن زاكور 17- 37- 57- 62- 66- 68
الزياني. 21- 37- 64- 65

-س-

سالفاغو 19
سانسون نابلون 35
سعيد بن إبراهيم الجزائري. 65
سليم التومي. 43- 44
الشيخ السنوسي 64
سيمون بفايفر 34

-ش-

شارل كنيط 24
شرلكان 42- 63
الشريف ازهار 49
شوفالييه بول 63

-ص-

صوفيا برنارد 50

-ط-

عبد الله بن طمطم 60

طولو 31- 32

-ظ-

الأميرة ظفيرة 44

-ع-

العبدري 16

عروج 43- 44

علي بن عبد الواحد السلماسي الأنصاري. 64

ابن عمار الجزائري. 39

عمر بن محمد صالح الأنصاري الخزرجي 60

العياشي 21- 36- 57- 58- 59- 60- 61- 68

-غ-

الغبريني 24

الغساني 16- 18

-ف-

فرانسيس بيكون 17

فرانسيس نايت 35

أبو الفضل القاضي عياض 64

فندلين شلوصر 35

فيليب الثاني 28

-ق-

أبو القاسم سعد الله 53

-ك-

عبد الكريم القلالي 37

كورين شوفالييه 25

كوكو فتسوف 32

كول 35

-ل-

لاكوبدامين 32

لوجي دوتاسي 30- 44- 49- 51- 54

لوسيان ليكليرك 38

ليبون العاشر. 17

-م-

محمد بن حسن 46

محمد أبي شنب 38

أبو عبد الله محمد بن عبد الحسن الجزائري 64

محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن الشريف العلمي الحسني الإدريسي 62

محمد الفاسي 15

محمد المكي الدرعي الناصري 17

محمد الكبير 33- 57

محمد بن يوسف بن عمر السنوسي 61

محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب 64

مرمول كارفاجال 26- 31

مسلم 61

مورقان 31- 43

موسى عليه السلام 16

مونتان 19

ميشال فونتير دوبارادي 34- 44- 52

ميشال دي عراس 36

ميغل دي سرفانتس 20 25 27

-هـ-

هارك ولوفس 29- 45

هنري الثاني 27

هنري الكبير 28

هود سون 38

-و-

الورتلاني 16- 22- 38

وليام شالر 34- 38

وليام ليثغو 17- 28

-ي-

يوبا الثاني 43

يعقوب 43

فهرس الأماكن والقبائل والبلدان

-أ-

بنو إبراهيم 59

أدرار 60

أرزيو 48

أزمر 31

الأزهر 53

إسبانيا 19- 20- 28

اسطنبول 18- 36- 37- 38

أصيلا 47

الأغواط 59

ألمانيا 29- 31- 34

أمستردام 30

أوكرت 60

إيطاليا 47

-ب-

بجاية 27- 28- 38- 48

برشلونة 51

بريطانيا 19

بسكرة 38- 58

بلنسة 16

البليدة 29- 38

البندقية 19

بوصر 54

-ت-

تافلالت 36

تاكبو 38

تاكدامت 43

تبلكوزة 59

تجمعوت 39

تركيا 47

تسابت 59

تطوان 36- 37- 47- 64

تلمسان 28- 37- 38- 46

تمقروت 36

تمنطيط 60

تنبكت 60

تزروف 59

توات 59- 60

توقرت 59

تيقورارين 60

-ج-

الجزائر 18- 19- 20- 21- 22- 25- 26-
28- 30- 31- 32- 33- 34- 35- 36-
37- 38- 39- 40- 42- 43- 46- 47-
48-50- 51- 54- 55- 57- 59- 62-
64- 68- 69

-ح-

الحجاز47

-د-

الدنمارك 29- 45

دلس 38

-ر-

رابنهسن 34

رفان 59

-ز-

الزيتونة 53

-س-

سبتة 64

سطيف 38

سوريا 47

السودان 24

بنوسيسين 58

-ش-

شيكاكو 35

-ص-

عين صالح 59

-ط-

طرابلس 33- 47

-ع-

العرائش 47

عنابة 32- 38- 39

-غ-

غرداية 59

غرناطة 26

بلاد غمارة 39

-ف-

فاس 37- 46- 47

فرنسا 19- 28- 29- 30

فيلاديفيا 33

-ق-

قرارة 59

القسطنطينية 27

قسنطينة 30- 37- 38

القيروان 53

-ك-

قرية الكراكد 59

كندال 30

-ل-

ليفورن 51

-م-

عين ماضي 39

مالاقا 33

مرسيليا 33

مستغانم 47

المسيلة 38

مصر 28

معسكر 49

المغرب 19- 36

مليانة 48

المنيعة 39- 58- 59

-ن-

نوشتادت أون أرولا 31

-هـ-

هولندا 19

-و-

بنو وافين 58

ورتلان 38

ورقلة 39- 58- 59

وستمورلندا 30

وهران 20- 22- 27- 29- 32- 37- 42- 48

قائمة المصادر البيبليوغرافية

أولا : قائمة المصادر .

أ/ باللغة العربية.

القرآن الكريم.

1. أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق وتقديم ، المهدي البوعبدلي ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، الجزائر.
2. الأغا بن عودة المزاري ، مطلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر تحقيق يحي بوعزيز ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.
3. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، تقديم سليم بابا ، موفم للنشر.
4. جون هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2005.
5. جيمس كاتكارت ، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.
6. أبي الحسن علي القلصاوي الأندلسي ، رحلة القلصاوي ،تحقيق محمد أبو الاجفان ، الشركة التونسية للكتاب ، تونس.
7. أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، ج1 ، دار الفكر ، 2000.
8. الحسن بن محمد الورتلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، ط1 ، مكتبة الثقافة الغربية ، 2008.
9. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ، ج7 ،ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982.
10. حمدان بن عثمان بن خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد الزبيري، ط2،الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.
11. عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، 2004.
12. عبد الرزاق ابن حمدوش ، لسان المقال عن النسب والحال ، تقديم وتعليق وتحقيق أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1983.

13. سيمون بفايفر ، مذكرات أو لمحة تاريخية عن تاريخ الجزائر ، تقديم وتعريب أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1974.

14. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

15. أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدري ، تقديم شاكر الفحام ، ط1، دار الطباعة ، دمشق ، 1999.

16. كورين شوفاليه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510م-1541م ، ترجمة جمال حمادنه ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 .

17. مارمول كاربخال، وصف إفريقيا ، ج1 ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر الجمعية للتأليف والترجمة، الرباط، 1989.

18. محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ط ، شركة الأصالة للنشر، الجزائر ، 2010.

19. محمد الشريف الزهار، مذكرات محمد الشريف الزهار، تقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر الجزائر ، 1974.

20. محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم علي إبراهيم كوري، ط1، دار سعد الدين، دمشق 1999.

21. محمد الغساني الأندلسي ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690م-1691م ، تقديم نوري الخراج ، ط1 ، دار السويدي ، أبو ظبي ، 2002.

22. محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1981.

23. مؤلف مجهول ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس ، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي ، دار القصبة ، الجزائر 2009.

24. وليام شالر ، مذكرات قنصل أمريكي في الجزائر 1816م-1824م ، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1982.

ب/ باللغة الأجنبية:

25. Diego de Heado ,topographie et histoire générale d'Alger , traduction de l'espagnole par Moliner-Violle in R.A , Paris, 1895.
26. Laugier de tassy, Histoire du Royaume avec l'état présent de son gouvernement, commissaire de la marine , Amesterdam,1725.
27. Louiche René Desfontaines,Fragments d'un voyage dans la regence de tunis et Alger ,tome second,libraurie de gide ,Paris.
28. Le Père Dan ,Histoire de la Barbarie et des ses corsaire , pierreRocolet , Paris,1637.
29. Thomas Shaw , voyage dans la Regence d'Alger au XVIII siècle , traduit de l'anglais par J.Mac carthy Marlin editeur ,Paris ,1830.
30. Venture de paradis , tunis et Alger au XVIII siècle ,la Bibliothèque Arabe Sindibad , France ,1980.

ثانيا– قائمة المراجع :

أ/ باللغة العربية :

31.أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م–1792م) ، ط2، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1776.

32.أحمد السليماني ، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني ، دحلب ، الجزائر ، 1994.

33.إسماعيل العربي ، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

34.أليسور ويلد ، رحلة طريفة في إيالة الجزائر ، تحقيق وتقديم وترجمة محمد جيجلي ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر 2002.

35.جون ب وولف ، الجزائر وأوروبا 1500م–1830م ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، طبعة خاصة،عالم المعرفة الجزائر ، 2008.

36.حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، دار الإحياء التراث العربي، بيروت.

37.حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، 1978.

38.عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، الرحلة في الإسلام وأنواعها وأدابها ، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب السودان 1996.

39.أبي عبد الله حماد بن أحمد المراكشي ، المعين عن الأسفار في معرفة أحكام وأداب الأسفار ، مراكش الحمراء 2004.

40.درياس لخضر ، المدفعية في العهد العثماني ، ط1 ، دار الحضارة لنطباعة للكتاب ، الجزائر ، 1983.

41.عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن الشنب، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

42.عبد الله ركيبي ، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009.

43.رحلات جزائرية (1) ثلاث رحلات مغاربية –رحلة ابن زاكور المسماة نشر أزاهير البستان فيمن إجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، تحقيق ضيف مصطفى ، محفوظ بوكراع ، طبعة خاصة ، المعرفة الدولية الجزائر.

44.زين قاسيمي ، قيادة سيباو ، تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي (1720م-1857 دار الأمل.

45.سميره أنساعد ، الرحله إلى المشرق في الأدب الجزائري ، دراسة في النشأة والتطور والبنية ، دار الهدى ، الجزائر.

46.سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب، الإسكندرية، 1996.

47.شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

48.عزيز سامح التر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت 1989.عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج3، المركز الثقافي العربي ، الدار وتطورها قبل 1830م ، ط1 جامعةالجزائر ، الجزائر.

49.عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999.

50.علي عبد القادر حليمي، دراسة في جغرافية المدن، مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، جامعة الجزائر، الجزائر.

51.عميراوي احميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجا) ، دار الهدى الجزائر ، 2009.

52.عميراوي احميدة ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2005.

53.عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية –مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين- دراسة مقارنة ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، 1996.

54.أبو العيد دودو ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م-1855م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989.

55.فتحي عبد العزيز أبو راضي ، جغرافية التضاريس، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، 2005.

56.فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي (1832م-1837م) ، ترجمة من الألمانية أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1980.

57.أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج1،ج2،ج3، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر 2007.

58.أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،1500م-1830م ، ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1995.

59.أبو القاسم سعد الله ، تعريف الخلف برجال السلف ،ج1 ، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني ، موفم للنشر 1991.

60.أبو القاسم محمد الفنداوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم للنشر، 1991.

61.قاسم نايت قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830م، ج1 ،ط1 : دار الأمة ، قسنطينة ، 1985.

62.مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ،مكتبة النهضة ، الجزائر ، 1963.

63.محمد باي بلعالم ، رحلات جزائرية (4) الرحلة العلمية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، م1 ، المعرفة الدولية ، الجزائر ، 2009.

64.محمد الصالح جمال بدوي ، عبد الله بن أحمد بن حامد الحمادي ، أدب الرحلة في المملكة السعودية ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، 1997.

65.محمد الصالح الصديق ، أعلام من المغرب العربي ، ج1 ، ط2 : موفم للنشر ، الجزائر ، 2008.

66.أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية الجزائر ، 1905.ابن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، 1999.

67.ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، مؤسسة الرسالة، 1999.

68.مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010.

69.ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد11، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1994.

70.منور مروش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ، القرصنة ، الأساطير والوقائع ، ج2 ، دار القصبة للنشر الجزائر 2009.

71.ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792م-1830م ، ط2 ، المؤسسة الوطنية الجزائر ، 1985.

72.ناصر الدين سعيدوني ، ورقات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 2000.

73.واسيني الأعرج ، على خطى سرفانتس في الجزائر —سرفانتس رحلة الجزائر البحث عن المعنى — عاصمة الثقافة العربية الجزائر، 2008.

74.ودان بوغفالة ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني ، ط1 ، مكتبة الرشاد للطباعة الجزائر ، 2009.

75.وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتقديم ، عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر .

76.يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج1 ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.

77.يحي بوعزيز، علاقة الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500م-1830م ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر 2009.

ب/ باللغة الأجنبية :

78. Derammont,Histoire d'Alger sous la domination turque 515,1830 ,ed,lerouse,Paris,1887.

ثالثا : المقالات والدوريات

أ/ بالعربية :

79.عبد الإله ميسوم ، "الجزائر في مسرحيات سرفانتس "، مجلة الثقافة ، ع64 ، الجزائر ، 1981.

80.عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية ، ع5 ، تونس ، 1976.

81.دي لإيبلز ميكال والهادي الوسلاتي ،"ملاحظات أب إسباني يزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم" ، المجلة التاريخية المغربية ، ع12 ، تونس ، 1978.

82.الطيب بن إبراهيم ،"أدب الرحلة ومكانته في الثقافة الإسلامية "، مجلة الدراسات الإسلامية، ع8 ، الجزائر 2005.

83.أبو القاسم سعد الله ،"رحلة الأغواطي في شمال إفريقية والسودان والدرعية "، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر ، 1982.

84.محمد أوجرتني،" القيم الدينية والحضارية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني في كتابات بعض الرحالة الأوروبيين"، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة ، ع13،2012.

85.محمد الصالح الصديق ،"محمد بن أبي شنب 1869م-1929م أصالة وحداثة، أسباب وأخلاق وعلم "، مجلة الثقافة الإسلامية، ع7 ، 2005.

ب/ باللغة الأجنبية :

86. Aberbugger, « Un voyage de Paris a Alger en 1731 par le sieur tollot » , R.A tome 11,n°66, Alger.

87. Mournir Fendri, "trios voyageurs Allemands en Tunisie XVIIIe siècle" RHT1 ,n°35-36 tunis 1984.

رابعا :الموسوعات والمعاجم .

88.بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1977.

89.سهيل صابات ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000.

90.عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض للتأليف ، بيروت 1980.

91.عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، ج8،ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1993.

92.محمد حمدي ، مرشد الطلاب ، دار ابن رشد ، قسنطينة ، 2002.

93.مختار حساني ، موسوعة وثقافة المدن الجزائرية –مدن الوسط ، ج1 ، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

خامسا: المذكرات.

94.فرج محمود ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

المقدمة..... 11-7

الفصل الأول: لمحة عامة عن الرحلات الأوروبية والمغربية..... 40-13

المبحث الأول : تعريف الرحلة وأنواعها..... 18-13

1- تعريف الرحلة..... 15-13

2- أنواعها..... 18-15

المبحث الثاني: دوافع هذه الرحلات وأهميتها..... 23-19

1- دوافع هذه الرحلات..... 22-19

2- أهمية هذه الرحلات..... 23-22

المبحث الثالث : أهم الرحالة الأوروبيين والمغاربة خلال العهد العثماني..... 40-24

1- أهم الرحالة الأوروبيين..... 36-26

2- أهم الرحالة المغاربة..... 40-36

الفصل الثاني : أهم مضامين الرحلة الأوروبية للجزائر العثمانية..... 55-42

المبحث الأول : المضمون السياسي والطبيعي..... 46-42

1- المضمون السياسي 46-42

2- المضمون الطبيعي..... 46

المبحث الثاني : المضمون الاقتصادي والاجتماعي..... 51-47

1- المضمون الاقتصادي 49-47

2- المضمون الاجتماعي..... 51-49

المبحث الثالث : المضمون الثقافي والديني..... 55-52

1- المضمون الثقافي 53-52

2- المضمون الديني..... 55-54

الفصل الثالث : نماذج عن رحلات المغاربة للجزائر العثمانية..... 69-57

المبحث الأول :صحراء الجزائر (المغرب الأوسط) في رحلة العياشي..... 61-57

المبحث الثاني :الحياة العلمية لمدينة الجزائر في رحلة ابن زاكور..... 67-62

المبحث الثالث :الحياة الاجتماعية لأهل مدينة الجزائر في رحلة ابن حمادوش..... 69-68

الخاتمة..... 72-71

الملاحق:..... 76-74

الفهارس:

- فهرس الأعلام..... 81-78
- فهرس القبائل والأماكن والبلدان..... 84-82
- فهرس المصادر البيبليوغرافية..... 91-85
- فهرس الموضوعات..... 93-92